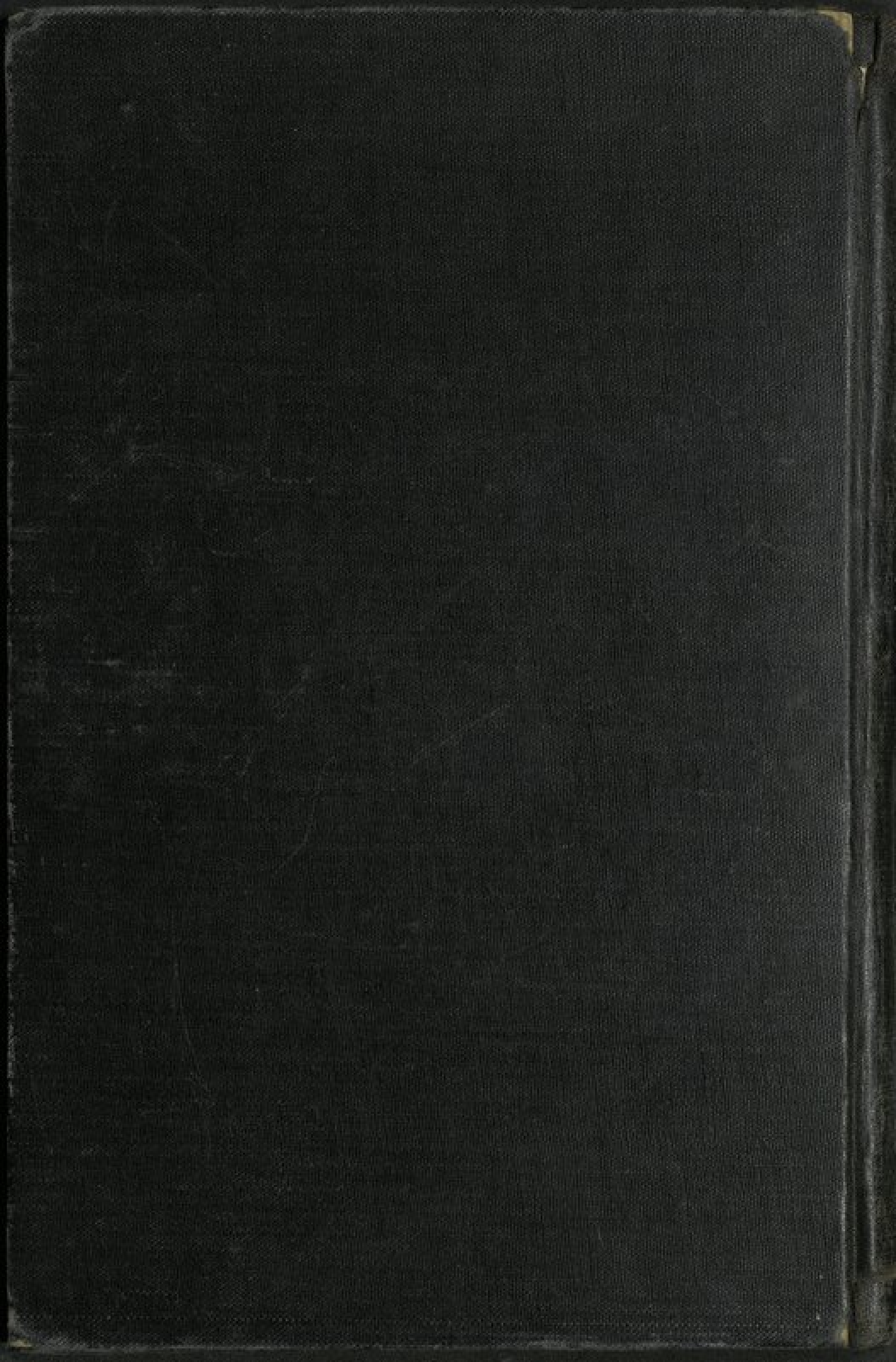
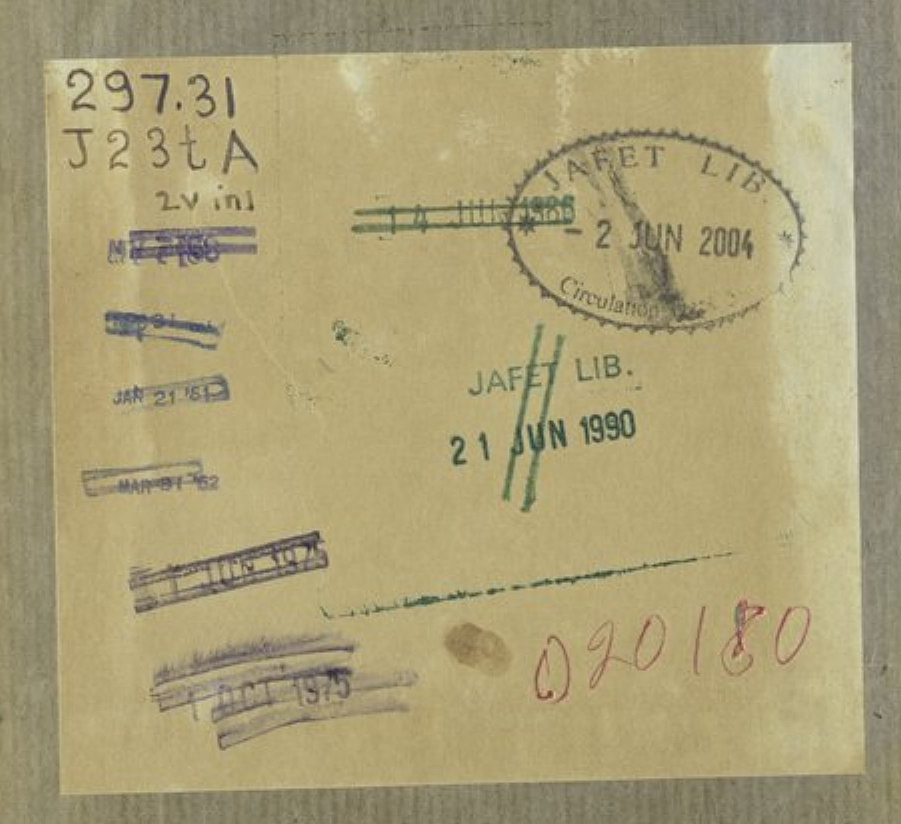



297.31
J23tA
2v in1
JAN 21 '61
MAR 31 '62
1 OCT 1975
JAFET LIB.
- 2 JUN 2004
Circulation
JAFET LIB.
21 JUN 1990
020180

توحيد المفضل

وكتاب

الأهليلجة

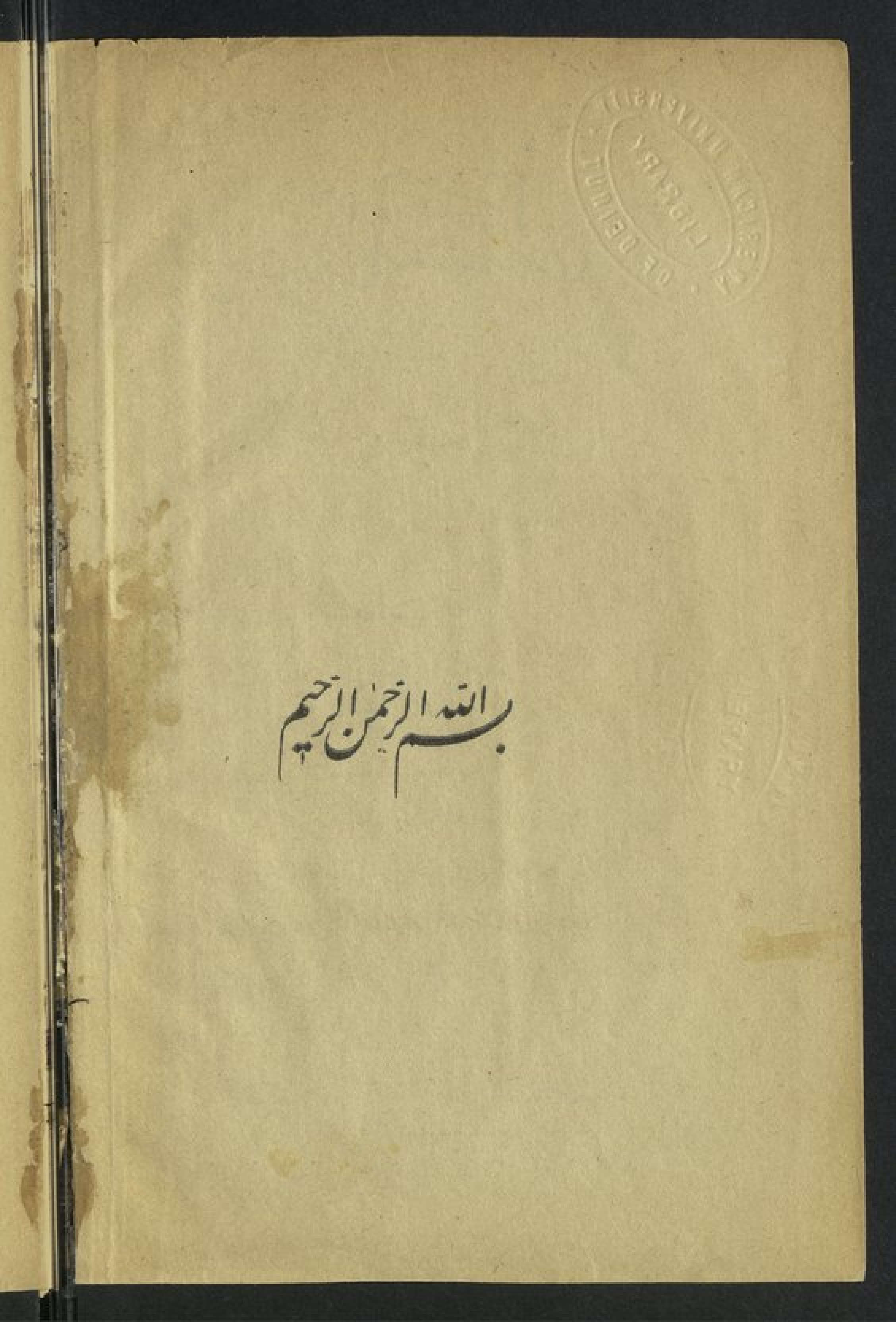
أملاه الامام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام
على المفضل بن عمر الجعفي

وقف على طبعه وتصحيحه
محمد رضا السيد سلمان المحامي

طبع على نفقة
محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي
صاحب المكتبة والمطبعة الحيدرية في النجف

منشورات المطبعة الحيدرية في النجف

١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وقع بيدي كتاب توحيد المفضل بن عمر الجعفي وكان طبعته رديئة فقرأتها بجهد ووقفت على مافيه من كنوز المعرفة المفعمة بضروب من الحقائق العلمية واسرار الخلقة فسررت بما وقفت عليه واردت ان يشاركني غيري من الناس في التمتع بما في ذلك الكنز الدفين من حقائق ومعلومات ولكن كيف يتيسر لي ذلك وطبعات الكتاب على تعددها نادرة وعسيرة القراءة ايضاً لكونها مطبوعة طبعات اكثرها رديئة وحجرية فضلا عما فيها من اغلاط النساخ وهفواتهم وقد قابلت بين طبعات مختلفة من الكتاب منها طبعة بغداد بالحروف المعدنية وقارنت الجميع بمخطوط السيد عبد الامير الاعرجي المنتسخ على كتاب بحار الانوار قبل طبعه فعثرت من كل ذلك على كثير من الاغلاط خاصة في طبعة بغداد وكان يلاحظ اهتمامي بطبع الكتاب صديقي الفاضل محمد كاظم الشيخ

صادق الكتبي صاحب المطبعة الحيدرية في النجف فابدى استعداده لطبع الكتاب وقرن ذلك بالعمل فبدأ بالطبع دون ان يتيح لنا الفرصة الكافية لتنسيق الكتاب حسب فن الطباعة الحديث وعلى كل فانه يشكر على تسرعه لأنه يرى ان مادة الكتاب ان كانت صحيحة فلا اهمية لترتيبه بقدر الاهمية التى تترتب على صحته فضلا عن انتهاز الفرصة التي قد لاتتاح له في وقت آخر ، وفى تلك الاثناء رأينا ان من المناسب ضم كتاب الاهليلجة المنسوب ايضاً للامام ابى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لكتاب التوحيد وطبعهما معاً لتكون الفائدة منهما اعم والمنفعة اعظم خاصة وان كتاب الاهليلجة لم يطبع قبل هذا الا فى كتاب بحار الانوار وان هذين الكتابين وان كانا من الكتب الصغيرة الحجم ولكنهما قد اشتملا على منافع جليلة غزيرة وفوائد ثمينة نادرة يجدر بالمثقفين وخاصة التائهين منهم والخابطين في عقائدهم ان يتدبروا مافيهما ويتأملوه ويدرسوه بارواح خالية من شوائب النزق والغرور وحينذاك سيرون ان العلم كله في العالم كله وانه لم يقصر على الغربيين الذين اخذوا اصوله عن علماء الشرق وأئمته وانى احمد الله جل وعلا على ما اسبغ علينا من نعمه ويسر لنا من طبع الكتابين واظهارهما للقراء وخاصة الذين يتوخون تتبع امثال هذه الكتب القيمة بما فيها من حقائق علمية دامغة وآثار روحية ساطعة لكى يطلعوا على جانب واحد من جوانب علم الامام أبى عبد الله الصادق عليه وعلى آبائه السلام وينهلوا من معينها الفياض فتتغير

نظرتهم لأئمتهم ويعرفون بعض ما لهم من المنزلة العظيمة التي تجل عن الوصف والتعريف وحينذاك يحضون بالمنزلة الرفيعة التي تخرجهم عن دائرة الجهل وتبعدهم عن نطاق الاوهام فيسعدون ويسعد بهم ويستفيدون ويستفاد منهم وهذا جل مانرجوه ونتوخاه وندعو الله تعالى ان يمن علينا بثوابه ورحمته فانه ارحم الراحمين .

محمد رضا السيد سلمان المحامى

« فهرست كتاب التوحيد »

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فهرست كتاب الاهليلجة

الصفحة

الصفحة

جدول الخطأ والصواب لكتاب توحيد المفضل

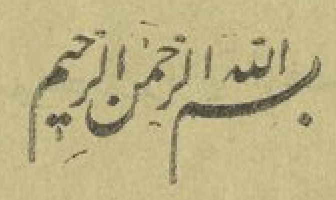
لقد اقتصرنا على تثبيت بعض الاغلاط وتركنا ما لايخفى على نباهة القارىء الكريم فمعذرة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	٥	ووفقه لتأمل في صنعة التدبير الخلائق	ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق
٨	١٣	بالخطاء	بالخطأ
١٢	٤	الذلك	لذلك
١٢	١٥	مالى	مافى
١٩	٥	الامن يلغ	الامن لم تبلغ
٢٠	١٠	الى	الق
٢١	٢	اداه	ادواه
٢٤	٧	ولولا الماسكة كان يلبث	ولولا الماسكة كيف كان يلبث
٢٦	١٩	بالألسن	بألسن
٣٠	٣	لوثق	لوثق
٣٠	٨	لتضيع	لتضييع
٣١	٧	لادبته	لادويته
٣٢	٥	ليكون الانسان في	ليكون للانسان في ذلك
٣٥	١	فاستئذن	فاستؤذن
٥٥	٤	فستؤذن	فاستؤذن
٦٢	٣	مقدار	مقداراً
٦٣	١١	خرخ	خرج
٧٢	٨	والمعلات	والمعاملات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٥	٦	والفجار	الفجار
٨٦	٩	امود	امور
٨٧	٥	ويغضب	ويغصب
٩٠	١٧	لسطانه	لسلطانه

جدول الخطأ والصواب لكتاب الاهليلجة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٠	ولمؤتلفة	والمؤتلفة
١٤	٧	وحداً	واحداً
١٦	٢	حديدين	جديدين
١٦	١٩	ولا اختلاف	ولا ختلاف
١٧	١٩	استيقنت	استيقضت
١٩	٩	ائمرت	أئتمرت
٢٥	١٦	واقطعت	وانقطعت
٣٣	٧	قال ذلك	قال وكيف يعرف ذلك
٣٣	١٧	واحد منها	واحد منها
٣٨	١٥	تقد	تقدر
٣٩	٦	والذان	واللذان
٤٤	١١	ان يتسمون	ان يتسموا



الحمد لله الذي اوجد الموجودات ، وجعل فيها دلائل ربوبيته واضحات شاهدات ، وصلى الله تعالى على محمد رسوله الى كافة الناس بالبينات ، الجالية القلوب الى الاقرار بالبارى وللجاحدين رادعات صادات ،وعلى الائمة من ذريته سادة الخلق ولهم الى ذى الحق هداة ، وعلى امام عصرنا المقيم دعوة الحق بالمطلقين الدعاة ، وايد الله داعى هذا الوقت بالمواد اللطيفة والبركات ، اما بعد : فهذا كتاب يشتمل على حكمة البارى جل وعلافى خلق العالم ومواليده الذي يسكن اليه المؤمنون ، ويتحيرفيه الملحدون، لما فيهمن صواب القول وسديده الذي ذكره الصادق عليه السلام للمفضل وهو مقطوع اول ورقة والموجود مايليه هذا وهو نصه وشرحه .

كتاب التوحيد رواية المفضل بن عمر

روى محمد بن سنان قال حدثني المفضل بن عمر قال كنت ذات يوم بعد العصر جالسا في الروضة بين القبر والمنبر ، وانا مفكر فيما خص الله تعالى به سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وعلى آله من الشرف والفضائل وما منحه واعطاه وشرفه وحباه ، مما لا يعرفه الجمهور من الامة ، وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطير مرتبته ، فاني لكذلك اذ اقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث اسمع كلامه فلما استقر به المجلس اذ رجل من اصحابه قد جاء فجلس اليه فتكلم ابن ابي العوجاء فقال : لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله ، وحاز الشرف بجميع خصاله ، ونال الحظوة في كل احواله ، فقال له صاحبه : انه كان فيلسوفا ادعى المرتبة العظمى ، والمنزلة الكبرى ، واتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول وضلت فيها الاحلام وغاصت الالباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسر ، فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء ، دخل الناس في دينه افواجا ، فقرن اسمه باسم ناموسه فصار يهتف به على رؤوس

الصوامع ، في جميع البلدان والمواضع ، التي انتهت اليها دعوته ، وعلتها كلمته وظهرت فيها حجته براً وبحراً وسهلا وجبلا في كل يوم وليلة خمس مرات مردداً في الاذان ، والاقامة ليتجدد فى كل ساعة ذكره ، ولئلا يخمل امره

فقال ابن ابى العوجاء : دع ذكر محمد صلى الله عليه وعلى آله فقد تحير فيه عقلي ، وضل في امره فكري . وحدثنا في ذكر الاصل الذي نمشي له ، ثم ذكر ابتداء الاشياء وزعم ان ذلك باهمال لا صنعة فيه ولا تقدير ولا صانع ولا مدبر ، بل الاشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال .

قال المفضل : فلم أملك نفسي غضبا وغيضا وحنقا فقلت ياعدو الله : الحدت في دين الله وأنكرت البارى جل قدسه الذى خلقك في أحسن تقويم ، وصورك فى أتم صورة ، ونقلك في احوالك حتى بلغ الى حيث انتهيت ، فلو تفكرت في نفسك وصدقك لطيف حسك ، لوجدت دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة ، وشواهده جل وتقدس في خلقك واضحة وبراهينه لك لائحة فقال ياهذا : أن كنت من أهل الكلام كلمناك فان ثبت لك حجة تبعناك ، وان لم تكن منهم فلا كلام لك وان كنت من اصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا ولا بمثل دليلك تجادل فينا ، ولقد سمع من كلامنا اكثر مما سمعت فما افحش فى خطابنا ولا تعدى في جوابنا وانه للحليم الرزين ، العاقل الرصين ، لا يعتريه خرق ولا طيش . ولا نزق ، يسمع كلامنا ، ويصغى الينا ، ويتعرف حجتنا ، حتى اذا استفرغنا

ماعندنا ، وظننا انا قطعناه دحض حجتنا بـكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ولانستطيع لجوابه ردا ، فان كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه .

قال : المفضل فخرجت من المسجد محزونا مفكرا فيما بلي به الاسلام واهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها ، فدخلت على مولاى عليه السلام فرآني منكسراً فقال مالك فاخبرته بما سمعت من الدهريين وبما رددت عليهما . فقال يامفضل لألقين عليك من حكمة الباري جل وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام وكل ذي روح من الانعام والنبات والشجرة المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول المأكول من ذلك وغير المأكول مايعتبر به المعتبرون ويسكن الى معرفته المؤمنون ويتحير فيه الملحدون فبكر علي غـدا .

قال المفضل فانصرفت من عنده فرحا مسرورا ، وطالت علي تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به فلما اصبحت غـدوت فاستؤذن لي فدخلت وقمت بين يديه فامرني بالجلوس فجلست ثم نهض الى حجرة كان يخلو فيها ونهضت بنهوضه فقال اتبعني فتبعته فـدخل ودخلت خلفه فجلس وجلست بين يديه فقال يامفضل كأني بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك . فقلت اجل يامولاى . فقال يامفضل ان الله تعالى كان ولاشيء قبله وهو باق ولانهاية له فله الحمد على ما الهمنا والشكر على مامنحنا فقد خصنا من العلوم باعلاها ومن المعالي باسناها

واصطفانا على جميع الخلق بعلمه وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه . فقلت : يامولاى أتاذن لي ان اكتب ماتشرحه وكنت اعددت معي ما اكتب فيه فقال لي افعل يامفضل ان الشكاك جهلو الأسباب والمعاني في الخلقة وقصرت افها مهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جل قدسه وبرأ من صنوف خلقه في البر والبحر والسهل والوعر فخرجوا بقصر علو مهم الى الجحود وبضعف بصائرهم الى التكذيب والعنود ، حتى انكروا خاق الاشياء وادعو ان تكونها بالاهمال ، لاصنعة فيها ولاتقدير ولاحكمة من مدبر ، ولاصانع ، تعالى الله عما يصفون ، وقاتلهم الله انى يؤفكون ، فهم فى ضلالهم وغيهم وتجبرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت اتقن بناء واحسنه وفرشت باحسن الفرش والفخره واعدفيها ضروب الاطعمة والاشربة والملابس والمآرب التى يحتاج اليها ولايستغنى عنها ووضع كل شئ من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يترددون فيها يمينا وشمالا ويطوفون بيوتها ادبارا واقبالا محجوبة أبصارهم عنها لايبصرون بنية الدار ومأأعد فيها وربما عثر بعضهم بالشئ الذي قد وضع موضعه واعد للحاجة اليه وهو جاهل للمعنى فيه ولما اعد ولماذا جعل كذلك فتذمر وتسخط وذم الدار وبانيها فهذه حال هذا الصنف فى انكارهم ما انكروا من امر الخلقة وثبات الصنعة فانهم لماعزبت أذهانهم عن معرفة الاسباب والعلل فى الاشياء صاروا يجولون فى هذا العالم حيارى فلا يفهمون ماهو عليه من اتقان خلقته ،

وحسن صنعته ، وصواب هيأته . وربما وقف بعضهم على الشئ يجهل سببه والأرب فيه فيسرع الى ذمه ووصفه بالاحالة والخطأ كالذي اقدمت عليه المنانية الكفرة وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة واشباههم من اهل الضلال المعللين انفسهم بالمحال ، فيحق على من انعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه ووفقه لتأمل في صنعة التدبير الخلائق والوقوف على ماخلقوا له من لطيف التدبير وصواب التقدير بالدلالة القائمة الدالة على صانعها ، ان يكثر حمد الله مولاه على ذلك ويرغب اليه في الثبات عليه والزيادة منه فانه جل اسمه يقول (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) يامفضل اول العبر والدلالة على البارى جل قدسه تهيأة هذا العالم وتأليف اجزائه ونظمها على ماهي عليه فانك اذا تأملت العالم بفكرك وخبرته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج اليه عباده فالسماء مرفوعة كالسقف ، والارض ممدودة كالبساط ، والنجوم مضيئة كالمصابيح ، والجواهر مخزونة كالذخائر ، وكل شئ فيها لشانه معد ، والانسان كالمملك ذلك البيت والمخول جميع مافيه وضروب النبات مهيأة لمآربه ، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه ، ففي هذا دلالة واضحة على ان العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة وان الخالق له واحد وهو الذي ألفه ونظمه بعضا الى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه ولا اله غيره تعالى عما يقول الجاحدون وجل وعظم عما ينتحله الملحدون نبدأ يامفضل بذكر خلق الانسان فاعتبر به فاول ذلك مايدبر به الجنين

في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث . ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع اذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة فانه يجرى اليه من دم الحيض مايغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتى اذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوى أديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق بامه فازعجه اشد ازعاج واعنفه حتى يولد فاذا ولد صرف ذلك الدم الذى كان يغذوه من دم امه الى ثديها وانقلب الطعم واللون الى ضرب آخر من الغذاء وهو اشد موافقة للمولود من الدم فيوا فيه في وقت حاجته اليه فحين يولد قد تلمظ وحرك شفتيه طلبا للرضاع فهو يجد ثديى امه كالاداوتين المعلقتين لحاجته فلا يزال يغتذى باللبن مادام رطب البدن رقيق الامعاء لين الاعضاء ، حتى اذا تحرك واحتاج الى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه طلعت له الطواحن من الاسنان والاضراس ليمضغ بها الطعام فيلين عليه ويسهل له اساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك ، فاذا ادرك وكان ذكرا طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعز الرجل الذى يخرج به من حد الصبا وشبه النساء وان كانت انثى يبقى وجهها نقيا من الشعر لتبقى لها البهجة والنضارة التى تحرك الرجل لما فيه دوام النسل وبقاؤه اعتبر يامفضل ، فيما يدبر به الانسان في هذه الاحوال المختلفة هل ترى مثله يمكن أن يكون بالاهمال؟ افرأيت لو لم يجر اليه ذلك الدم وهو فى الرحم الم يكن سيذوى ويجف كما يجف النبات اذا فقد الماء

ولولم يزعجه المخاض عند استحكامه الم يكن سيبقى فى الرحم كالموؤدفي الارض ؟ ولولم يوافقه اللبن مع ولادنه الم يكن سيموت جوعا اويغتذى بغذاء لايلائمه ولايصلح عليه بدنه ، ولولم تطلع له الاسنان فى وقتها الم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام واساغته اويقيمه على الرضاع فلايشتد بدنه ولايصلح لعمل ثم كان يشغل امه بنفسه عن تربية غيره من الاولاد ، ولولم يخرج الشعر فى وجهه فى وقته الم يكن سيبقى فى هيأة الصبيان والنساء فلاترى له جلالة ولاوقار .

فقال المفضل فقلت له يامولاى فقد رايت من يبقى على حالته ولاينبت الشعر فى وجهه وان بلغ الكبر فقال عليه السلام ذلك بما قدمت ايديهم وان الله ليس بظلام للعبيد ، فمن هذا الذى يرصده حتى يوافيه بكل شئ من هذه المآرب الا الذى انشأه خلقا بعدان لم يكن ثم توكل له بمصلحته بعد ان كان فان كان الاهمال ياتى بمثل هذا التدبير فقد يجب ان يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطاء والمحال لانها ضد الاهمال وهذا فظيع من القول وجهل من قائله لان الاهمال لاياتى بالصواب والتضاد لاياتي بالنظام تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا ولوكان المولود يولد فهما عاقلا لانكر العالم عند ولادته ولبقي حيرانا تائه العقل اذا رأى مالم يعرف وورد عليه مالم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير الى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعدساعة ويوما بعديوم واعتبر ذلك بان من سبى من بلد وهوعاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع الى

تعلم الكلام وقبول الادب كما يسرع الذي سبي صغيرا غير عاقل ثم لو
ولد عاقلا كان يجد غضاضة اذا راى نفسه محمولا مرضعا معصبا بالخرق
مسجي في المهد لانه لا يستغني عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته حين يولد
ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج
الى الدنيا غبياً غافلا عما فيه اهله فيلقى الاشياء بذهن ضعيف ومعرفة
ناقصة ثم لا يزال يتزيد في المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيئ وحالا بعد
حال حتى يالف الاشياء ويتمرن ويستمر عليها فيخرج من حد التامل لها
والحيرة فيها الى التصرف والاضطراب الى المعاش بعقله وحيلته والى
الاعتبار والطاعه والسهو والغفلة والمعصية ، وفي هذا ايضا وجوه اخر فانه
لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الاولاد
وماقدر ان يكون للوالدين فى الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب
التربيه للاباء على الابناء من المكافاة بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم الى
ذلك منهم ثم كان الاولاد لا يالفون اباءهم ولا يالف الاباء ابناءهم لان
الاولاد كانوا يستغنون عن تربية الاباء وحياطتهم ، فيتفرقون عنهم حين
يولدون فلا يعرف الرجل اباه وامه ، ولا يمتنع من نكاح امه واخته
وذوات المحارم ، منه اذا كان لا يعرفهن واقل ما في ذلك من القباحة ،
بل هو اشنع واعظم وافظع واقبح وابشع لو خرج المولود من بطن امه
وهو يعقل ان يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن به ان يراه افلا ترى
كيف اقيم كل شئ من الخلقة على غاية الصواب ، وخلا من الخطأ

دقيقه وجليله .

اعرف يامفضل ماللاطفال في البكاء من المنفعة واعلم ان فى ادمغة الاطفال رطوبة ان بقيت فيها احدثت عليهم احداثا جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره والبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة فى ابدانهم والسلامة فى ابصارهم . افليس قد جاز ان يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لايعرفان ذلك فهمادائبان ليسكتانه ويتوخيان فى الامور مرضاته لئلا يبكي ، وهما لايعلمان ان البكاء اصلح له واجمل عاقبة . فهكذا يجوز ان يكون فى كثير من الاشياء منافع لايعرفها القائلون بالاهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء انه لامنفعة فيه من اجل انهم لايعرفونه ولا يعلمون السبب فيه . فان كل مالايعرفه المنكرون يعلمه العارفون ، وكثيراً مايقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته فاما مايسيل من افواه الاطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التى لو بقيت في ابدانهم لاحدثت عليهم الامور العظيمة كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبه فاخرجته الى حدالبله والجنون والتخليط ، الى غير ذلك من الامراض المتلفة كالفالج واللقوة وما اشبهها . فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من افواههم في صغرهم لما لهم فى ذلك من الصحة في كبرهم فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك من التمادي فى معصيته ، فسبحانه ما اجل نعمته واسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه وتعالى عما يقول المبطلون علوا

كبيرا . انظر الآن يامفضل كيف جعلت آلات الجماع فى الذكر والانثى جميعا على مايشا كل ذلك عليه فجعل للذكر آلة ناشزة تمتد حتى تصل النطفه الى الرحم اذ كان محتاجا الى ان يقذف ماءه فى غيره وخلق للأنثى وعاءاً قعراً ليشتمل على المائين جميعا ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم اليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عما يشركون !؟

فكر يامفضل في اعضاء البدن اجمع ، وتدبير كل منها للارب فاليدان للعلاج ، والرجلان للسعى ، والعينان للاهتداء ، والفم للاغتذاء ، والمعدة للهضم والكبد للتخليص ، والمنافذ لتنفيذ الفضول ، والاوعية لحملها ، والفرج لاقامة النسل ، وكذلك جميع الاعضاء اذا ماتاملتها واعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة .

قال المفضل فقلت يامولاى ان قوما يزعمون ان هذا من فعل الطبيعة فقال عليه السلام سلهم عن هذه الطبيعة اهي شي له علم وقدرة على مثل هـذه الافعال ام ليست كذلك فان اوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من اثبات الخالق فان هذه صنعته . وان زعموا انها تفعل هـذه الافعال بغير علم ولا عمد وكان في افعالها ماقد تراه من الصواب والحكمة علم ان هذا الفعل للخالق الحكيم فان الذي سموه طبيعة هو سنته فى خلقه الجارية على ما اجراها عليه .

فكر يامفضل في وصول الغذاء الى البدن ومافيه من التدبير فان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه الى الكبد في عروق دقاق

واشجة بينها قد جعلت كالمصفى للغذاء لكيلا يصل الى الكبد منه شيء فينكأها وذلك ان الكبد رقيقة لاتحتمل العنف ثم ان الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً وينفذه الى البدن كله فى مجاري مهيأة الذلك بمنزلة المجارى التى تهيأ للماء ليطرد فى الارض كلها وينفذ مايخرج منه من الخبث والفضول الى مغايض قد اعدت لذلك ، فما كان منه من جنس المرة الصفراء جري الى المرارة ، وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال ، وما كان من البلة والرطوبة جرى الى المثانة فتامل حكمة التدبير فى تركيب البدن ووضع هذه الاعضاء منه مواضعها واعداد هذه الاوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر فى البدن فتسقمه وتنهكه فتبارك من احسن التقدير واحكم التدبير وله الحمد كما هو اهله ومستحقه !

قال المفضل فقلت : صف نشو الابدان ونموها حالا بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال قال عليه السلام اول ذلك تصوير الجنين فى الرحم حيث لاتراه عين ولا تناله يد ويدبره حتى يخرج سويا مستوفيا جميع مافيه قوامه وصلاحه من الاحشاء والجوارح والعوامل الى مالى تركيب اعضائه من العظام واللحم والشحم والعصب والمخ والعروق والغضاريف فاذا خرج الى العالم تراه كيف ينمو بجميع اعضائه وهو ثابت على شكل وهيأة لاتتزايد ولا تنقص الى ان يبلغ اشده ان مد في عمره اويستوفى مدته قبل ذلك هل هذا الا من لطيف التدبير والحكمة ؟ يامفضل انظر الى

ماخص به الانسان فى خلقه تشريفا وتفضلا على البهائم فانه خلق ينتصب قائما ويستوى جالسا ليستقبل الاشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بها فلو كان مكبوبا على وجهه كذوات الاربع لما استطاع ان يعمل شيئا من الاعمال إنظر الان يامفضل الى هذه الحواس التي خص بها الانسان في خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان في الراس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الاشياء ولم تجعل في الاعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين فتعترضها الافات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة مايعللها ويؤثرفيها وينقص منها ، ولافى الاعضاء التى وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلبها واطلاعها نحو الاشياء . فلمالم يكن لها في شيئ من هذه الاعضاء موضع كان الراس اسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة لها . فجعل الحواس خمسا تلقي خمسا لكى لايفوتهاشيئ من المحسوسات . فخلق البصر ليدرك الالوان فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها لم تكن فيها منفعة ، وخلق السمع ليدرك الاصوات فلو كانت الاصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب ، وكذلك سائر الحواس ثم هذا يرجع متكافيا فلو كان بصر ولم تكن الالوان لما كان للبصر معنى ولو كان سمع ولم تكن اصوات لم يكن للسمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقي بعضا فجعل لكل حاسة محسوسا يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه ، ومع هذا فقد جعلت اشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لاتتم الحواس الابها كمثل الضياء

والهواء فانه لولم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ولولم يكن هواء يؤدي الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفى على من صح نظره واعمل فكره ان مثل هذا الذى وصفت من تهيأة الحواس والمحسوسات بعضها يلقي بعضا وتهيأة اشياء اخربها تتم الحواس لايكون الا بعمل وتقدير من لطيف خبير .

فكر يامفضل فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في اموره فانه لايعرف موضع قدميه ولا يبصر مابين يديه فلايفرق بين الالوان وبين المنظر الحسن والقبيح ولا يرى حفرة ان هجم عليها ولا عدواً ان اهوى اليه بسيف ولايكون له سبيل الى ان يعمل شيئا من هذه الصناعات مثل الكتابة والنجارة والصياغة . حتى انه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقي وكذلك من عدم السمع يختل فى امور كثيرة فانه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ، ويعدم لذة الاصوات واللحون المشجية المطربه ، وتعظم المؤنة على الناس في محاورته حتى يتبرموا به ولا يسمع شيئا من اخبار الناس واحاديثهم ، حتى يكون كالغائب وهو شاهدا وكالميت وهوحى . فاما من عدم العقل فانه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيرا مما تهتدى اليه البهائم افلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال التى بها صلاح الانسان والتى لوفقد منها شيئا لعظم مايناله فى ذلك من الخلل يوافى خلقه على التمام حتي لايفقد شيئا منها فلم كان كذلك الا انه خلق بعلم وتقدير .

قال : المفضل فقلت فلم صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله من ذلك مثل ماوصفته يامولاى قال عليه السلام : ذلك للتاديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه كما يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رأيهم ويتصوب من تدبيرهم ثم ان للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت ان شكروا وانابوا مايستصغرون معه ماينالهم منها حتى انهم لوخيروا بعد الموت لاختاروا ان يردوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب .

فكر يامفضل فى الاعضاء التي خلقت افرادا وازواجا وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب فى التدبير ، فالراس مما خلق فردا ولم يكن للانسان صلاح فى ان يكون له اكثر من واحد . الاترى انه لوضيف الى راس الانسان راس آخر لكان ثقلا عليه من غير حاجة اليه لان الحواس التي يحتاج اليها مجتمعة في راس واحد ثم كان الانسان ينقسم قسمين لوكان له رأسان فان تكلم من احدهما كان الاخر معطلا لارب فيه ولاحاجة اليه ، وان تكلم منهما جميعا بكلام واحد كان احدهما فضلا لايحتاج اليه وان تكلم باحدهما بغير الذي تكلم به من الآخر لم يدر السامع باي ذلك ياخذ واشباه هذا من الاخلاط . واليدان مما خلق ازواجا ولم يكن للانسان خير في ان يكون له يد واحدة لان ذلك كان يخل به فيما يحتاج الى معالجته من الاشياء . الاترى ان النجار والبناء لوشلت احدى يديه لايستطيع ان يعالج صناعته وان

تكلف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منـه مايبلغه اذا كانت يداه تتعاونان على العمل .

امل الفكر يامفضل في الصوت والكلام وتهيأة آلاته في الانسان . فالحنجرة كالانبوبة لخروج الصوت واللسان ، والشفتان والاسنان لصياغة الحروف والنغم . الاترى ان من سقطت اسنانه لم يقم السين ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء ، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء ، واشبه شيئ بذلك المزمار الاعظم ، فالحنجرة تشبه قصبة المزمار ، والرئة تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح ، والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالاصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزامير والشفتان والاسنان التي تصوغ الصوت حروفا ونغما كالاصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره الحانا غير انه وان كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف فان المزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت قد انبأتك بما في الاعضاء من الغناء في صنعة الكلام واقامة الحروف وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب اخرى فالحنجرة ليسلك فيها هـذا النسيم الى الرئه فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي لوحبس شيئا يسيرا لهلك الانسان وباللسان تذاق الطعوم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها حلوها من مرها وحامضها من مزها ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة على اساغة الطعام والشراب والاسنان لمضغ الطعام حتى يلين وتسهل اساغته وهي مع ذلك كالسند للشفتين

تمسكها وتدعمها من داخل الفم واعتبر ذلك فانك ترى من سقطت
اسنانه مسترخي الشفة ومضطربها وبالشفتين يترشف الشراب حتى يكون
الذي يصل الى الجوف منه بقصد وقدر لايثج ثجافيغص به الشارب
اوينكأ في الجوف ثم هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحها الانسان
اذاشاء ويطبقها اذا شاء وفيما وصفنا من هذا بيان، ان كل واحد من هذه
الاعضاء يتصرف وينقسم الى وجوه من المنافع كما تتصرف الاداة الواحدة
في اعمال شتى وذلك كالفاس تستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من
الاعمال ولو رايت الدماغ اذا كشف عنه لرايته قدلف بحجب بعضها
فوق بعض لتصونه من الاعراض وتمسكه فلايضطرب ولرأيت عليه
الجمجمة بمنزلة البيضة كيما تقيه هد الصدمة والصكة التي ربما وقعت في الرأس
ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صارت بمنزلة الفرو للراس يستره من
شدة الحر والبرد فمن حصن الدماغ هذا التحصين الا الذي خلقه وجعله
ينبوع الحس والمستحق للحيطة والصيانة بعلو منزلته من البدن وارتفاع
درجته وخطير مرتبته . تامل يامفضل الجفن على العين كيف جعل
كالغشاء والاشفار كالاشراج واولجها في هذا الغار واظلها بالحجاب
وماعليه من الشعر يامفضل من غيب الفؤاد في جوف الصدر وكساه
المدرعة التي هي غشاؤه وحصنه بالجوانح وماعليها من اللحم والعصب لئلا
يصل اليه ماينكأه .من جعل في الحلق منفذين احدهما لمخرج الصوت وهو
الحلقوم المتصل بالرئة والاخر منفذ للغذاء وهو المرى المتصل بالمعدة

الموصل الغذاء اليها وجعل على الحلقوم طبقا يمنع الطعام ان يصل الى الرئة فيقتل؟ من جعل الرئة مروحة الفؤاد لا تفتر ولا تخل لكيلا تتحيز الحرارة في الفؤاد فتؤدي الى التلف؟ من جعل لمنافذ البول والغائط اشراجا تضبطها لئلا يجريا جريانا دائما فيفسد على الانسان عيشه فكم عسى ان يحصى المحصى من هذا بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس اكثر؟ من جعل المعدة عصبانية شديدة وقدرها لهضم الطعام الغليظ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء ولتهضم وتعمل ماهو الطف من عمل المعدة الا الله القادر اترى الاهمال ياتى بشيئ من ذلك؟ كلا بل هو تدبير مدبر حكيم قادر عليم بالاشياء قبل خلقه اياها لا يعجزه شئ وهو اللطيف الخبير .

فكر يامفضل لما صار المخ الرقيق محصنا فى انابيب العظام هل ذلك الا ليحفظه ويصونه ، لم صار الدم السائل محصورا فى العروق بمنزلة الماء فى الضروف الا لتضبطه فلا يفيض ، لم صارت الاظفار على اطراف الاصابع الا وقاية لها ومعونة على العمل ، لم صار داخل الاذن ملتويا كهيأة اللولب الا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهى الى السمع وليكسر حمة الريح فلا ينكأ فى السمع ، لم حمل الانسان على فخذيه واليتيه هذا اللحم الا ليقيه من الارض فلا يتالم من الجلوس عليها كما يألم من نحل جسمه وقل لحمه اذا لم يكن بينه وبين الارض حائل يقيه صلابتها ؟ من جعل الانسان ذكرا وانثى الامن خلقه متناسلا ، ومن خلقه متناسلا الامن خلقه مؤملا ومن

اعطاه آلات العمل الا من خلقه عاملا ومن خلقه عاملا الا من جعله محتاجا ومن جعله محتاجا الا من ضربه بالحاجة ومن ضربه بالحاجة الا من توكل بتقويمه ؟ من خصه بالفهم الا من اوجب الجزاء ، من وهب له الحيلة الا من ملكه الحول ومن ملكه الحول الا من الزمه الحجة ، من يكفيه مالا تبلغه حيلته الا من يبلغ مدى شكره ، فكر وتدبر ماوصفته هل تجد الاهمال يأتي على مثل هذا النظام والترتيب تبارك الله وتعالى عما يصفون . اصف لك الآن يامفضل الفؤاد اعلم ان فيه ثقبا موجهة نحو الثقب التي في الرئة تروح عن الفؤاد حتى لو اختلفت تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح الى الفؤاد ولهلك الانسان افيستجيز ذو فكرة وروية أن يزعم ان مثل هذا يكون بالاهمال ولا يجد شاهداً من نفسه ينزعه عن هذا القول ؟ لو رايت فردا من مصراعين فيه كلوب اكنت تتوهم انه جعل كذلك بلا معنى بل كنت تعلم ضرورة انه مصنوع يلقى فردا اخر فيبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة وهكذا تجد الذكر من الحيوان كانه فرد من زوج مهيأ من فرد انثى فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه فتبا وخيبة وتعسا لمنتحلى الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتى انكروا التدبير والعمد فيها . لو كان فرج الرجل مسترخيا كيف كان يصل الى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه ولو كان منعظا ابدا كيف كان الرجل يتقلب فى الفراش او يمشى بين الناس وشيء شاخص امامه ثم يكون فى ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال

والمساء جميعا فقدر الله جل اسمه ان يكون اكثر ذلك لايبدو للبصر في كل وقت ولا يكون على الرجال منه مؤنة بل جعل فيه قوة الانتصاب وقت الحاجة الى ذلك لما قدر ان يكون فيه من دوام النسل وبقائه. اعتبر الآن يامفضل بعظم النعمة على الانسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الاذى اليس من حسن التقدير في بناء الدار ان يكون الخلاء في استر موضع منها فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الانسان في استر موضع منه فلم يجعله بارزا من خلفه ولا ناشزا من بين يديه بل هو مغيب في موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان وتحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فتواريانه فاذا احتاج الانسان الى الخلاء وجلس تلك الجلسة التي ذلك المنفذ منه منصبا مهيأ لانحدار الثفل فتبارك من تظاهرت آلاؤه ولاتحصى نعماؤه.

فكر يامفضل في هذه الطواحن التي جعلت للانسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه وبعضها عراض لمضغه ورضه فلم ينقص واحد من الصفتين اذ كان محتاجا اليهما جميعا. تأمل واعتبر بحسن التدبير في حلق الشعر والاظفار فانهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج الى تخفيفه اولا فأولا جعلا عديمي الحس لئلا يؤلم الانسان الاخذ منهما ولو كان قص الشعر وتقليم الاظفار مما يوجد له الم وقع من ذلك بين مكروهين اما ان يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه واما ان يخففه بوجع والم يتألم منه.

قال المفضل فقلت فلم لم يجعل ذلك خلقة لاتزيد فيحتاج الانسان

الى النقصان منه فقال عليه السلام ان لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعما لا يعرفها فيحمده عليها اعلم ان آلام البدن واداءه تخرج بخروج الشعر في مسامه وبخروج الاظفار من اناملها ولذلك امر الانسان بالنورة وحلق الراس وقص الاظفار في كل اسبوع ليسرع الشعر والاظفار في النبات فتخرج الآلام والادواء بخروجها واذا طالا تحيرا وقل خروجهما فاحتبست الآلام والادواء فى البدن فاحدثت عللا واوجاعا ومنع مع ذلك الشعر من المواضع التي تضر بالانسان وتحدث عليه الفساد والضر ، لونبت الشعر في العين الم يكن سيعمى البصر ولونبت في الفم الم يكن سينغص على الانسان طعامه وشرابه ، ولونبت في باطن الكف الم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض الاعمال ، ولونبت في فرج المرأة او على ذكر الرجل الم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع فانظر كيف تنكب الشعر عن هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة ثم ليس هذا فى الانسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات فانك ترى اجسامها مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه فتأمل الخلقة كيف تتحرز وجوه الخطأ والمضرة وتأتي بالصواب والمنفعة ان المنانية واشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والابطين ولم يعلموا ان ذلك من رطوبة تنصب الى هذه المواضع فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه افلا ترى الى هذه المواضع استر وأهيأ لقبول تلك الفضلة من غيرها ثم ان هذه تعد

مما يحمل الانسان من مؤنة هذا البدن وتكاليفه لما لافي ذلك من المصلحة فان اهتمامه بتنظيف بدنه واخذ مايعلوه من الشعر ممايكسر به شرته ويكف عادبته ويشغله عن بعض مايخرجه اليه الفراغ من الاشر والبطالة ، تأمل الريق ومافيه من المنفعة فانه جعل يجرى جرياناً دائما الى الفم ليبل الحلق واللهوات فلايجف فان هذه المواضع لوجعلت كذلك كان فيه هلاك الاسنان ثم كان لايستطيع ان يسيغ طعاماً اذا لم يكن في الفم بلة تنفذه تشهد بذلك المشاهدة ، واعلم ان الرطوبة مطية الغذاء وقد تجرى من هذه البلة الى مواضع اخر من المرة فيكون في ذلك صلاح تام للانسان ولو يبست المرة لهلك الانسان ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين بقلة التمييز وقصور العلم لو كان بطن الانسان كهيأة القباء يفتحه الطبيب اذا شاء فيعاين مافيه ويدخل يده فيعالج ماأراد علاجه الم يكن اصلح من ان يكون مصمتاً محجوباً عن البصر واليد لايعرف مافيه الابد لالات غامضة كمثل النظر الى البول وجس العرق وماأشبه ذلك ممايكثر فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك سببا للموت فلو علم هؤلاء الجهلة ان هذا لو كان هكذا كان اول مافيه ان كان يسقط عن الانسان الوجل من الامراض والموت وكان يستشعر البقاء ويغتر بالسلامة فيخرجه ذلك الى العتو والاشر ثم كانت الرطوبات التي فى البطن تترشح وتتحلب فيفسد على الانسان مقعده ومرقده وثياب بدلته وزينته بل كان يفسد عليه عيشه ثم ان المعدة والكبد والفواد انما تفعل افعالها

بالحرارة الغريزية التي جعلها الله محتبسة في الجوف فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر الى رؤيته واليد الى علاجه لوصل برد الهواء الى الجوف فمازج الحرارة الغريزية وبطل عمل الاحشاء فكان في ذلك هلاك الانسان افلا ترى ان كلما تذهب اليه الاوهام سوى ماجاءت به الخلقة خطأ وخطل.

فكر يامفضل فى الافعال التي جعلت في الانسان من الطعم والنوم والجماع ومادبر فيها فانه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرك يقتضيه ويستحث به فالجوع يقتضى الطعم الذي فيه راحة البدن وقوامه والكرى يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن واجمام قواه والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه ولو كان الانسان انما يصير الى اكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه اليه ولم يجد من طباعه شيئا يضطره الى ذلك كان خليقا ان يتوانى عنه احيانا بالثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك كما يحتاج الواحد الى الدواء لشيء مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك الى المرض والموت وكذلك لو كان انما يصير الى النوم بالتفكر فى حاجته الى راحة البدن واجمام قواه كان عسى ان يتثاقل عن ذلك فيدفعه حتى ينهك بدنه ولو كان انما يتحرك للجماع بالرغبة فى الولد كان غير بعيد ان يفتر عنه حتى يقل النسل او ينقطع فان من الناس من لايرغب في الولد ولا يحفل به فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الافعال التي بها قوام الانسان وصلاحه محرك من نفس الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه

واعلم ان في الانسان قوى اربعاً قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة وقوة ماسكة تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها وقوة هاضمة وهي التي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثه في البدن وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد اخذ الهاضمة حاجتها ففكر في تقدير هذه القوى الاربع التي فى البدن وافعالها وتقديرها للحاجة اليها والارب فيها ومافى ذلك من التدبير والحكمة فلولا الجاذبة كيف كان يتحرك الانسان لطلب الغذاء الذي به قوام البدن ولولا الماسكة كان يلبث الطعام فى الجوف حتى تهضمه المعدة ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسد خلله ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج اولا فاولا افلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه وسأمثل لك فى ذلك مثالا ان البدن بمنزلة دار الملك له فيها حشم وصبية وقوام موكلون بالدار فواحد لقضاء حوائج الحشم وايرادها عليهم وآخر لقبض مايرد وخزنه الى ان يعالج ويهيأ واخر لعلاج ذلك وتهيأته وتفريقه وآخر لتنظيف مافى الدار من الاقذار واخراجه منها فالملك فى هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين والدار هي البدن والحشم هي الاعضاء والقوام هي هذه القوى الاربع ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى الاربع وافعالها بعد الذي وصفت فضلا وتزداداً وليس ماذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الاطباء ولاقولنا فيه كقولهم

لانهم ذكروها على ما يحتاج اليه فى صناعة الطب وتصحيح الابدان وذكرناها على مايحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي كالذي اوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها تأمل يامفضل هذه القوى التي فى النفس وموقعها من الانسان اعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك افرأيت لو نقص الانسان من هذه الخلال الحفظ وحده ، كيف كانت تكون حاله وكم من خلل كان يدخل عليه فى اموره ومعاشه وتجاربه اذا لم يحفظ ماله وما عليه وما اخذه وما اعطى ومارأى وماسمع وما قال وماقيل له ولم يذكر من احسن اليه ممن اساء به ومانفعه مماضره ثم كان لايهتدي لطريق لو سلكه مالايحصى ولايحفظ علماً ولو درسه عمره ولايعتقد ديناً ولاينتفع بتجربة ولايستطيع ان يعتبر شيئاً على ما ماضى بل كان حقيقاً ان ينسلخ من الانسانية فانظر الى النعمة على الانسان فى هذه الخلال وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع واعظم من النعمة على الانسان فى الحفظ النعمة في النسيان فانه لولا النيسان لماسلا احد عن مصيبة ولا انقضت له حسرة ولامات له حقد ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الافات ولارجاء غفلة من سلطان ولافترة من حاسد افلا ترى كيف جعل فى الانسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل له فى كل منهما ضرب من المصلحة وماعسى ان يقول الذين قسموا الاشياء بين خالقين متضادين في هذه الاشياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجتمع على مافيه الصلاح والمنفعة

انظر يامفضل الى ماخص به الانسان دون جميع الحيوان من هذا

الخلق الجليل قدره العظيم غناؤه اعنى الحياء فلولاه لم يقرضيف ولم يوف بالعداة ولم تقض الحوايج ولم يتحرى الجميل ولم يتنكب القبيح في شيء من الاشياء حتى ان كثيراً من الامور المفترضة ايضاً انما يفعل للحياء فان من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذارحم ولم يؤد امانة ولم يعف عن فاحشة افلا ترى كيف وفى الانسان جميع الخلال التى فيها صلاحه وتمام امره .

تأمل يامفضل ماانعم الله تقدست اسماؤه به على الانسان من هـذا المنطق الذي يعبر به عما فى ضميره ومايخطر بقلبه وينتجه فكره وبه يفهم عن غيره مافي نفسه ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التى لاتخبر عن نفسها بشيء ولاتفهم عن مخبر شيئاً وكذلك الكتابة التي بها تقيد اخبار الماضين للباقين واخبار الباقين للآتين وبها تخلد الكتب فى العلوم والاداب وغيرها وبها يحفظ الانسان ذكر مايجرى بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ولولاه لانقطع اخبار بعض الازمنة عن بعض واخبار الغائبين عن اوطانهم ودرست العلوم وضاعت الاداب وعظم مايدخل على الناس من الخلل في امورهم ومعاملاتهم ومايحتاجون الى النظر فيه من امر دينهم وماروي لهم ممالا يسعهم جهله ولعلك تظن انها مما يخلص اليه بالحيلة والفطنة وليست مماعطيه الانسان من خلقه وطباعه وكذلك الكلام انما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم ولهـذا صار يختلف في الامم المختلفة بالألسن مختلفة وكذلك الكتابة لكتابة العربي

والسرياني والعبراني والرومي وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الامم انما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام فيقال لمن ادعى ذلك ان الانسان وان كان له فى الامرين جميعا فعل اوحيلة فان الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل له فى خلقه فانه لولم يكن له لسان مهيأ للكلام وذهن يهتدى به للامور لم يكن ليتكلم ابدا ولولم يكن له كف مهيأة واصابع للكتابة لم يكن ليكتب ابداً واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة فاصل ذلك فطرة الباري جل وعز وماتفضل به على خلقه فمن شكر اثيب ومن كفر فان الله غني عن العالمين .

يامفضل فكر فيما اعطى الانسان علمه ومامنع فانه اعطى جميع علم مافيه صلاح دينه ودنياه فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة وبرالوالدين واداء الامانة ومواساة اهل الخلة واشباه ذلك مما قد توجد معرفته والاقرار والاعتراف به فى الطبع والفطرة من كل امة موافقة اومخالفة وكذلك اعطى علم مافيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس واستخراج الارضين واقتناء الاغنام والانعام واستنباط المياه ومعرفة العقاقير التي يستشفى بها من ضروب الاسقام والمعادن التي يستخرج منها انواع الجواهر وركوب السفن والغوص فى البحر وضروب الحيل في صيد الوحش والطير والحيتان والتصرف في

الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب وغير ذلك مما يطول شرحه ويكثر تعداده مما فيه صلاح امره في هذه الدار فاعطى علم ما يصلح به دينه ودنياه ومنع ماسوى ذلك مما ليس في شانه ولاطاقته ان يعلم كعلم الغيب وماهو كائن وبعض ماقد كان ايضاً كعلم مافوق السماء وماتحت الارض ومافي لجج البحار واقطار العالم ومافي قلوب الناس ومافي الارحام واشباه هذا مما حجب على الناس علمه وقد ادعت طائفة من الناس هذه الامور فابطل دعواهم مايبين من خطأهم فيما يقضون عليه ويحكمون به فيما ادعوا علمه فانظر كيف اعطى الانسان علم جميع مايحتاج اليه لدينه ودنياه وحجب عنه ماسوى ذلك ليعرف قدره ونقصه وكلا الامرين فيهما صلاحه

تأمل الان يامفضل ماستر عن الانسان علمه من مدة حياته فانه لوعرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قدعرفه بل كان يكون بمنزلة من قد فنى ماله اوقارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر على ان الذي يدخل على الانسان من فناء العمر اعظم مما يدخل عليه من فناء المال لان من يقل ماله يأمل ان يستخلف منه فيسكن الى ذلك ومن ايقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس وان كان طويل العمر ثم عرف ذلك وثق بالبقاء وانهمك في اللذات والمعاصي وعمل على انه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في اخر عمره وهذا مذهب لايرضاه الله من عباده ولايقبله الاترى لوان عبداً لك عمل على انه يسخطك سنة ويرضيك يوماً اوشهراً لم تقبل ذلك

منه ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون ان يضمر طاعتك ونصحك فى كل الامورو في كل الاوقات على تصرف الحالات فان قلت اوليس قد يقيم الانسان على المعصية حيناً ثم يتوب فتقبل توبته قلنا ان ذلك شئ يكون من الانسان لغلبة الشهوات له وتركه مخالفتها من غير ان يقدرها فى نفسه ويبنى عليه امره فيصفح الله عنه ويتفضل عليه بالمغفرة فاما من قدر امره على ان يعصى مابدا له ثم يتوب أخر ذلك فانما يحاول خديعة من لا يخادع بان يتسلف التلذذ فى العاجل ويعدو يمنى نفسه التوبة في الأجل ولانه لايفي بما يعد من ذلك فان النزوع من الترفه والتلذذ ومعانات التوبة ولاسيما عند الكبر وضعف البدن امر صعب ولا يؤمن على الانسان مع مدافعته بالتوبة ان يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين الى اجل وقد يقدر على قضائه فلايزال يدافع بذلك حتى يحل الاجل وقد نفد المال فيبقى الدين قائما عليه فكان خير الاشياء للانسان ان يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت فيترك المعاصى ويؤثر العمل الصالح فان قلت وهاهو الآن قد ستر عنه مقدار حياته وصار يترقب الموت في كل ساعة يقارف الفواحش وينتهك المحارم قلنا ان وجه التدبير فى هذا الباب هو الذي جرى عليه الامر فيه فان كان الانسان مع ذلك لايرعوى ولا ينصرف عن المساوى فانما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه لامن خطأ في التدبير كما ان الطبيب قد يصف للمريض ماينتفع به فان كان المريض مخالفاً لقول الطبيب لا يعمل

بما يأمره ولا ينتهى عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم تكن الاسائة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه ولئن كان الانسان مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصى فانه لو ثق بطول البقاء كان احرى بان يخرج الى الكبائر الفظيعة فترقب الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء ثم ان ترقب الموت وان كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر منهم وينزعون عن المعاصى ويؤثرون العمل الصالح ويجودون بالاموال والعقائل النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل ان يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضيع اولئك حظهم منها . فكر يامفضل في الاحلام كيف دبر الامر فيها فمزج صادقها بكاذبها فانها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم انبياء ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلا لا معنى له فصارت تصدق احيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى لها او مضرة يتحذر منها وتكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد .فكر يامفضل في هذه الاشياء التي تراها موجودة معدة في العالم من مآربهم فالتراب للبناء والحديد للصناعات والخشب للسفن وغيرها والحجارة للارحاء وغيرها والنحاس للاواني والذهب والفضة للمعاملة والذخيرة والحبوب للغذاء والثمار للتفكه واللحم للمأكل والطيب للتلذذ والادوية للتصحح والدواب للحمولة والحطب للتوقد والرماد للكلس والرمل للارض وكم عسى ان يحصى المحصى من هذا وشبهه ارأيت لو ان داخلا دخل دارآ فنظر الى خزائن مملوة من كل ما يحتاج اليه الناس ورای

كلا فيها مجموعا معد الاسباب معروفة أكان يتوهم ان مثل هذا يكون بالاهمال ومن غير عمد فكيف يستجيز قائل ان يقول هذا من صنع الطبيعة في العالم وما اعد فيه من هذه الاشياء .

اعتبر يامفضل باشياء خلقت لمآرب الانسان ومافيها من التدبير فانه خلق له الحب لطعامه وكلف طحنه وعجنه وخبزه وخلق له الوبر لكسوته فكلف ندفه وغزله ونسجه وخلق له الشجر فكلف غرسها وسقيها والقيام عليها وخلقت له العقاقير لادينه فكلف لقطها وخلطها وصنعها وكذلك تجد سائر الاشياء على هذا المثال فانظر كيف كفى الخلقة التى لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كل شيء من الاشياء موضع عمل وحركة لماله في ذلك من الصلاح لانه لو كفى هذا كله حتى لايكون له في الاشياء موضع شغل وعمل لما حملته الارض اشرا وبطراً ولبلغ به ذلك الى ان يتعاطى اموراً فيها تلف نفسه ولو كفى الناس كلما يحتاجون اليه لما تهنأوا بالعيش ولا وجدوا له لذة الا ترى لوان امرأ نزل بقوم فاقام حينا بلغ جميع مايحتاج اليه من مطعم ومشرب وخدمة لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه الى التشاغل بشيء فكيف لوكان طول عمره مكفيا لايحتاج الى شيء فكان من صواب التدبير في هذه الاشياء التي خلقت للانسان ان جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة ولتكفه عن تعاطي مالا يناله ولاخير فيه ان ناله واعلم يامفضل ان رأس معاش الانسان وحياته الخبز والماء فانظر كيف دبر الامر فيهما فان حاجة الانسان الى الماء اشد من حاجته الى الخبز

وذلك ان صبره على الجوع اكثر من صبره على العطش والذي يحتاج اليه من الماء اكثر مما يحتاج اليه من الخبز لانه يحتاج اليه لشربه ووضوءه وغسله وغسل ثيابه وسقي انعامه وزرعه فجعل الماء مبذولا لايشترى لتسقط عن الانسان المؤنة في طلبه وتكلفه وجعل الخبز متعذراً لاينال الابالحيلة والحركة ليكون للانسان فى شغل يكفه عما يخرجه اليه الفراغ من الاشرو العبث الا ترى ان الصبي يدفع الى المؤدب وهو طفل لم تكمل ذاته للتعليم كل ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربما جنيا عليه وعلى اهله المكروه العظيم وهكذا الانسان لوخلا من الشغل لخرج من الاشروا لعبث والبطر الى مايعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفه والكفاية ومايخرجه ذلك اليه اعتبر لملا يتشابه الناس واحد بالاخر كما تتشابه الوحوش والطير وغير ذلك فانك ترى السرب من الظباء والقطا تتشابه حتى لايفرق بين واحد منها وبين الاخرى وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لايكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة والعلة فى ذلك ان الناس محتاجون الى ان يتعارفوا باعيانهم وحلاهم لما يجرى بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج الى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته الا ترى ان التشابه فى الطير والوحش لايضرها شيئا وليس كذلك الانسان فانه ربما تشابه التوأمان تشابها شديداً فتعظم المؤنة على الناس في معاملتهما حتى يعطى احدهما بالاخر ويوخذ بذنب أحدهما الاخر

وقد يحدث مثل هذا في تشابه الاشياء فضلا عن تشابه الصور فمن لطف بعباده بهذه الدقائق التى لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب الامن وسعت رحمته كل شيء لو رأيت تمثال الانسان مصوراً على حائط وقال لك قائل ان هذا ظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع اكنت تقبل ذلك بل كنت تستهزيء به فكيف تنكر هذا فى تمثال مصور جماد ولا تنكر فى الانسان الحي الناطق لم صارت ابدان الحيوان وهي تغتذي ابدا لا تنمى بل تنتهى الى غاية من النمو ثم تقف ولا تتجاوزها لولا التدبير فى ذلك فان تدبير الحكيم فيها ان تكون ابدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت فى الكبير والصغير وصارت تنمى حتى تصل الى غايتها ثم تقف ثم لا تزيد والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع ولو تنمي نموا دائما لعظمت ابدانها واشتبهت مقاديرها حتى لا يكون لشيء منها حد يعرف . لم صارت اجسام الانس خاصة تثقل عن الحركة والمشى وتجفو عن الصناعات اللطيفة الا لتعظيم المؤنة فيما يحتاج اليه الناس للملبس والمضجع ، والتكفين وغير ذلك لو كان الانسان لا يصيبه الم ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على الناس اما ترى الانسان اذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب الى ربه فى العافية وبسط يده بالصدقة ولو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدعار ويذل العصاة المردة وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات وبما كان العبيد يذلون لاربابهم ويذعنون لطاعتهم افليس هذا توبيخ

لابن ابي العوجاء وذويه الذين جحدوا التدبير (والمانوية) الذين انكروا الوجع والالم ولولم يولد من الحيوان الاذكر فقط او انثى فقط الم يكن النسل منقطعا وبادمع اجناس الحيوان فصار بعض الاولاد تأتي ذكوراً وبعضها ياتي اناثا ليدوم التناسل ولا ينقطع لم صار الرجل والمرأة اذا ادركا تنبت لهما العانة ثم تنبت اللحية للرجل وتخلفت عن الامرأة لولا التدبير في ذلك فانه لما جعل الله تبارك وتعالى الرجل قيما ورقيبا على المرأة وجعل المرأة عرساً وخولا للرجل اعطى الرجل اللحية لماله من العز والجلالة والهيبة ومنعها المرأة لتبقى لها نظارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة افلا ترى الخلقة كيف تأتي بالصواب في الاشياء وتتخلل مواضع الخطأ فتعطي وتمنع على قدر الارب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل .

قال المفضل ثم حان وقت الزوال فقام مولاى الى الصلاة وقال بكر الي غدا انشاء الله تعالى فانصرفت من عنده مسروراً بما عرفته مبتهجاً بما اوتيته حامداً لله تعالى عز وجل على ما انعم به علي شاكراً لانعمه على مامنحني بما عرفنيه مولاى وتفضل به علي فبت في ليلتي مسروراً بما منحنيه محبوراً بما علمينه .

تم المجلس الاول ويتلوه المجلس الثاني من كتاب الادلة على الخلق والتدبير والرد على القائلين بالاهمال ومنكرى العمد برواية المفضل عن الصادق صلوات الله عليه وعلى آبائه .

قال المفضل فلما كان اليوم الثاني بكرت الى مولاى فاستئذن لي فدخلت فامرني بالجلوس فجلست فقال.

المجلس الثاني

{ الحمد لله مدبر الادوار ومعيد الاكوار }

طبقا عن طبق وعالما بعد عالم ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى عدلا منه تقدست اسماؤه وجلت آلاؤه لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون يشهد بذلك قوله جل قدسه (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره في نظائر لها في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ولذلك قال سيدنا محمد صلوات الله عليه وعلى اله انما هي اعمالكم ترد اليكم ثم اطرق هنيئة ثم قال يامفضل الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يترددون وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون بصراء عمى لا يبصرون نطقاء بكم لا يعقلون سمعاء صم لا يسمعون رضوا بالدون وحسبوا انهم مهتدون حادوا عن مدرجة الاكياس ورتعوا في مرعى الارجاس الانجاس كأنهم من مفاجات الموت آمنون وعن المجازات مزحزحون ياويلهم مااشقاهم واطول عناهم واشد بلاهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولاهم ينصرون الا من رحم الله .

قال المفضل فبكيت لما سمعت منه فقال لا تبك تخلصت اذقبلت

ونجوت اذعرفت ثم قال أبتدى لك بذكر الحيوان ليتضح لك من امره ماوضح لك من غيره فكر فى ابنية ابدان الحيوان وتهيئتها على ماهى عليه فلاهى صلاب كالحجارة ولو كانت كذلك لاتنثنى ولاتتصرف فى الاعمال ولاهى على غاية اللين والرخاوة فكانت لاتتحامل ولاتستقل بانفسها فجعلت من لحم رخو ينثنى تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب وعروق تشده وتضم بعضه الى بعض وغلفت فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كله واشباه ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدان وتلف بالخرق وتشد بالخيوط وتطلى فوق ذلك بالصمغ فتكون العيدان بمنزلة العظام والخرق بمنزلة اللحم والخيوط بمنزلة العصب والعروق والطلاء بمنزلة الجلد فان جاز ان يكون الحيوان المتحرك حدث بالاهمال من غير صانع جاز ان يكون ذلك فى هذه التماثيل الميتة فان كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحرى ان لايجوز في الحيوان .

وفكر يامفضل بعد هذا في اجساد الانعام فانها حين خلقت على ابدان الانس من اللحم والعظم والعصب اعطيت ايضاً السمع والبصر ليبلغ الانسان حاجته فانها لوكانت عمياً صماً لما انتفع بها الانسان ولا تصرفت في شىء من مآربه ثم منعت الذهن والعقل لتذل للانسان فلاتمتنع عليه اذا كدها الكدا الشديد وحملها الحمل الثقيل فان قال قائل انه قد يكون للانسان عبيد من الانس يذلون ويذعنون بالكد الشديد وهم مع ذلك غير عديمى العقل والذهن فيقال في جواب ذلك ان هذا الصنف من

الناس قليل فاما اكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدواب من الحمل والطحن وما اشبه ذلك ولايقرون بما يحتاج اليه منه ثم لوكان الناس يزاولون مثل هذه الاعمال بابدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الاعمال لانه كان يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد الى عدة اناسي فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتى لايكون فيهم عنه فضل لشئ من الصناعات مع مايلحقه من التعب الفادح في ابدانهم والضيق والكد في معاشهم .

فكر يامفضل في هذه الاصناف الثلاثة من الحيوان وفى خلقها على ماهى عليه مما فيه صلاح كل واحد منها فالانس لما قدروا ان يكونوا ذوى ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة والخياطة وغيرذلك خلقت لهم اكف كبار ذوات اصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الاشياء وأوكدها هذه الصناعات وآكلات اللحم لماقدر ان يكون معايشها من الصيد خلقت لهم اكف لطاف مدمجة ذوات براثن ومخاليب تصلح لاخذ الصيد ولاتصلح للصناعات وآكلات النبات لماقدر ان يكونوا ، لاذوات صنعة ولاذات صيد خلقت لبعضها اضلاف تقيها خشونة الارض اذا حاولت طلب المرعى ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كاخمص القدم تنطبق على الارض عند تهيئها للركوب والحمولة تأمل التدبير فى خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات اسنان حداد وبراثن شداد واشداق وافواه واسعة فانه لماقدر ان يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك واعينت بسلاح وادوات

تصلح للصيد وكذلك نجد سباع الطير ذوات مناقير ومخاليب مهيأة لفعلها ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قداعطيت مالا تحتاج اليه لانها لاتصيد ولاتأكل اللحم ولو كانت السباع ذوات اظلاف كانت قد منعت ماتحتاج اليه اعنى السلاح الذي تصيدبه وتتعيش افلاترى كيف اعطى كل واحد من الصنفين مايشاكل صنفه وطبقته بل مافيه بقاؤه وصلاحه انظر الآن الى ذوات الاربع كيف تراها تتبع امهاتها مستقلة بانفسها لاتحتاج الى الحمل والتربية كما تحتاج اولاد الانس فمن اجل أنه ليس عند امهاتها ماعند امهات البشر من الرفق والعلم بالتربية والقوة عليها بالاكف والاصابع المهيأة لذلك اعطيت النهوض والاستقلال بانفسها وكذلك ترى كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج تدرج وتلقط حين تنقاب عنها البيضة فاما ماكان منها ضعيفا لانهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل فى الامهات فضل عطف عليهافصارت تمج الطعام في افواهها بعد ماتوعيه حواصلها فلاتزال تغذوها حتى تستقل بانفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخا كثيرة مثل ماترزق الدجاج لتقوى الأم على تربية فراخها فلاتفسد ولاتموت فكلا اعطى بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير انظر الى قوايم الحيوان كيف تأتي ازواجاً لتتهيأ للمشي ولو كانت افراداً لم تصلح لذلك لان الماشي ينقل قوائمه يعتمد على بعض فذ والقائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة وذوالاربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لان ذا الاربع لو كان

ينقل قائمتين من احد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الاخر لم يثبت على الارض كما يثبت السرير وما اشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره وينقل الاخريين ايضا من خلاف فيثبت على الارض ولا يسقط اذا مشى اماترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعماً والبعير لا يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به والفرس الكريم يركب السيوف والاسنة بالمواتاة لفارسه والقطيع من الغنم يرعاه واحد ولو تفرقت الغنم فاخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها وكذلك جميع الاصناف المسخرة للانسان فبم كانت كذلك الا بانها عدمت العقل والروية فانها لو كانت تعقل وتروى في الامور كانت خليقة ان تلتوى على الانسان في كثير من مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها واشباه هذا من الامور وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليقة ان تجتاحهم فمن كان يقوم للاسد والذئاب والنمور والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس افلاترى كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من اقدامها ونكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنها ثم لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها الا بالليل فهي مع صولتها كالخائف من الانس بل مقموعة ممنوعة منهم ولو كان ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيقت عليهم ثم

جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحافظ له ينتقل على الحيطان والسطوح فى ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه وذب الدعار عنه ويبلغ من محبته لصاحبه ان يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله ويألفه غاية الالف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع الكلب على هذه الالفة والمحبة الا ليكون حارساً للانسان له عين بانياب ومخاليب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع التي يحميها ويخفرها يامفضل تأمل وجه الدابة كيف هو فانك ترى العينين شاخصتين امامها لتبصر مابين يديها لئلا تصدم حائطاً أو تردى فى حفرة وترى الفم مشقوقاً شقاً فى اسفل الخطم ولوشق كمكان الفم من الانسان فى مقدم الذقن لما استطاع ان يتناول به شيئاً من الارض الاترى أن الانسان لايتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمة له على سائر الآكلات فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل خرطومها مشقوقاً من اسفله لتقبض على العلف ثم تقظمه واعينت بالجحفلة لتتناول بها ماقرب ومابعد اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فانه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعا يواريهما ويسترهما ومن منافعها فيه ان مابين الدبر ومراقى البطن منها وضر يجتمع عليها الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كالمذبة تذب بها عن تلك المواضع ومنها ان الدابة تستريح الى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة فانه لما كان قيامها على الاربع باسرها وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب كان لها فى تحريك الذنب راحة وفيه منافع اخرى

يقصر عنها الوهم فيعرف موقعها في وقت الحاجة اليها فمن ذلك ان الدابة ترتطم فى الوحل فلا يكون شيء اعون على نهوضها من الاخذ بذنبها وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها فى مآربهم ثم جعل ظهرها مسطحاً مبطوحاً على قوائم اربع ليتمكن من ركوبها وجعل حياها بارزاً من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها ولو كان اسفل البطن كما كان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها الا ترى انه لايستطيع ان يأتيها كفاحا كما يأتى الرجل المرأة تأمل مشفر الفيل ومافيه من لطيف التدبير فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادها الى جوفه ولولا ذلك لما استطاع ان يتناول شيئاً من الارض لانه ليست له رقبة يمدها كسائر الانعام فلما عدم العنق اعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسد له فيتناول به حاجته فمن ذا الذي عوضه مكان العضو الذي عدم مايقوم مقامه الا الرؤف بخلقه وكيف يكون هذا بالاهمال كما قالت الظلمة فان قال قائل فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الانعام قيل له ان رأس الفيل واذنيه امر عظيم وثقل ثقيل فلو كان ذلك على عنق عظيم لهدها واوهنها فجعل رأسه ملصقا بجسمه لكيلا يناله منه ماوصفناه وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدم العنق مستوفيا مافيه بلوغ حاجته انظر الآن كيف جعل حياء الانثى من الفيلة في اسفل بطنها فاذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضربها فاعتبر كيف جعل حياء الانثى من الفيله على خلاف ماعليه فى غيرها من الانعام ثم جعلت

فيه هذه الخلة ليتهيأ للامر الذي فيه قوام النسل ودوامه فكر في خلق الزرافة واختلاف اعضائها وشبهها باعضاء اصناف من الحيوان فرأسها رأس فرس وعنقها عنق جمل واظلافها اظلاف بقرة وجلدها جلد نمر وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل ان نتاجها من فحول شتى قالوا وسبب ذلك ان أصنافا من حيوان البر اذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من اصناف شتى وهذا جهل من قائله وقلة معرفة بالبارى جل قدسه وليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف فلا الفرس يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقر وانما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمار فيخرج بينهما البغل ويلقح الذئب الضبع فيخرج من بينهما السبع على انه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو كل واحد منهما كما فى الزرافة عضو من الفرس وعضو من الجمل واظلاف من البقرة بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذي تراه فى البغل فانك ترى رأسه وأذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطا بين هذه الاعضاء من الفرس والحمار وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار فهذا دليل على انه ليست الزرافة من لقاح اصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لايعجزها شيء وليعلم انه خالق اصناف الحيوان كلها يجمع بين مايشاء من اعضائها في ايها شاء ويفرق ماشاء منها فى ايها شاء ويزيد في الخلقة ماشاء وينقص

منها ماشاء دلالة على قدرته على الاشياء وانه لايعجزه شئ اراده جل وتعالى فاما طول عنقها والمنفعة لها فى ذلك فان منشأها ومرعاها في غياطل ذوات اشجار شاهقة ذاهبة طولا فى الهواء فهى تحتاج الى طول العنق لتتناول بفيها اطراف تلك الاشجار فتقوت من ثمارها تأمل خلقة القرد وشبهه بالانسان فى كثير من اعضائه اعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك احشاؤه شبيهة ايضا باحشاء الانسان وخص مع ذلك بالذهن والفطنة التى بها يفهم عن سائسه مايؤمي اليه ويحكى كثيراً مما يرى الانسان يفعله حتى انه يقرب من خلق الانسان وشمايله فى التدبير فى خلقته على ماهى عليه ان يكون عبرة للانسان في نفسه فيعلم انه من طينة البهائم وسنخها اذ كان يقرب من خلقها هذا القرب وانه لولا فضيلة فضله بها فى الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم على ان في جسم القرد فضولا اخرى تفرق بينه وبين الانسان كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله وهذا لم يكن مانعا للقرد ان يلحق بالانسان لو اعطى مثل ذهن الانسان وعقله ونطقه والفصل الفاصل بينه وبين الانسان بالحقيقة هو النقص فى العقل والذهن والنطق .

انظر يامفضل الى لطف الله جل اسمه بالبهائم كيف كسيت اجسامها هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف لتقيها من البرد وكثرة الآفات والبست الاظلاف والحوافر والاخفاف لتقيها من الحفا اذ كانت لا ايدي لها ولا اكف ولا اصابع مهيأة للغزل والنسج فكفوا بان جعل كسوتهم في خلقهم باقية

عليهم ما بقوا لا يحتاجون الى تجديدها والأستبدال بها فاما الانسان فانه ذو حيلة وكف مهيأة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالا بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات من ذلك انه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث وما تخرجه اليه الكفاية ومنها انه يستريح الى خلع كسوته اذا شاء ولبسها اذا شاء ومنها ان يتخذ لنفسه من الكسوة ضروباً لها جمال وروعة فيتلذذ بلبسها وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضروباً من الخفاف والنعال يقي بها قدميه وفي ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معايشهم ومنها اقواتهم واقوات عيالهم فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر والاخفاف مقام الحذاء .

فكر يامفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم فانهم يوارون انفسهم اذا ماتوا كما يوارى الناس موتاهم والا فاين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء وليست قليلة فتخفى لقلتها بل لو قال قائل انها اكثر من الناس لصدق فاعتبر في ذلك بما تراه في الصحارى والجبال من اسراب الضباء والمها والحمير الوحش والوعول والايايل وغير ذلك من الوحوش واصناف السباع من الاسد والضباع والذياب والنمور وغيرها وضروب الهوام والحشرات ودواب الارض وكذلك اسراب الطير من الغربان والقطا والاوز والكراكى والحمام وسباع الطير جميعا وكلها لا يرى منها اذا ماتت الا الواحد بعد الواحد يصيده قانص او يفترسه سبع فاذا

احسوا بالموت كنوا في مواضع خفية فيموتون فيها ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث الامراض والوباء فانظر الى هذا الذي يخلص اليه الناس وعملوه بالتمثيل الاول الذي مثل لهم كيف جعل طبعاً وادكاراً فى البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرة مايحدث عليهم من الامراض والفساد .

فكر يامفضل فى الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفاً من الله عز وجل لهم لئلا يخلو من نعمه جل وعز احد من خلقه لا بعقل وروية فان الايل يأكل الحيات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفا من ان يدب السم في جسمه فيقتله ويقف على الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولايشرب منه ولوشرب لمات من ساعته ، فانظر الى ماجعل من طباع هذه البهيمة من تحمل الظما الغالب الشديد خوفا من المضرة في الشرب وذلك مما لايكاد الانسان العاقل المميز يضبطه من نفسه والثعلب اذا اعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتا فاذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فاخذها فمن اعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة الامن توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه فانه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما تقوى عليه السباع من مساورة الصيد اعين بالدهاء والفطنة والاحتيال لمعاشة والدلفين يلتمس صيد الطير فيكون حيلته فى ذلك ان يأخذ السمك فيقتله ويشرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته ويثور الماء الذي عليه حتى لا يتبين شخصه فاذا وقع

الطير على السمك الطافي وثب اليها فاصطادها فانظر الى هذه الحيلة كيف جعلت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة .

قال المفضل فقلت اخبرني يامولاي عن التنين والسحاب فقال عليه السلام ان السحاب كالموكل به يختطفه حيثما ثقفه كما يختطف حجر المغناطيس الحديد فهو لايطلع رأسه في الارض خوفا من السحاب ولا يخرج الا في القيظ مرة اذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة قلت فلم وكل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه اذا وجده قال ليدفع عن الناس مضرته .

قال المفضل فقلت قد وصفت لي يامولاي من امر البهائم مافيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرة والنملة والطير فقال عليه السلام يامفضل تامل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها فمن اين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة الامن التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره انظر الى النمل واحتشاده في جمع القوت واعداده فانك ترى الجماعة منها اذا نقلت الحب الى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام اوغيره بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ماليس للناس مثله اماتراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل ثم يعمدون الى الحب فيقطعونه قطعا لكيلا ينبت فيفسد عليهم فان اصابه ندى اخرجوه فنشروه حتى يجف ثم لايتخذ النمل الزبية الا في نشز من الارض كيلا يفيض السيل فيغرقها وكل هذا منه بلا عقل ولاروية بل خلقة خلق عليها

لمصلحة من الله جل وعز انظر الى هذا الذي يقال له الليث وتسميه العامة اسد الذباب وما اعطى من الحيلة والرفق في معاشه فانك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريباً منه تركه ملياً حتى كأنه موات لاحراك به فاذا رأى الذباب قد اطمأن وغفل عنه دب دبيباً دقيقاً حتى يكون منه بحيث تناله وثبته ثم يثب عليه فيأخذه فاذا اخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة ان ينجو منه فلا يزال قابضاً عليه حتى يحس بانه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحي بذلك منه فاما العنكبوت فانه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركاً ومصيدة للذباب ثم يتمكن في جوفه فاذا نشب فيه الذباب احال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه فذلك يحكى صيد الكلاب والفهود وهذا يحكى صيد الاشراك والحبائل فانظر الى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها مالا يبلغه الانسان الا بالحيلة واستعمال الالات فيها فلا تزدري بالشيء اذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وماأشبه ذلك فان المعنى النفيس قد يمثل بالشي الحقير فلا يضع منه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب ان يوزن بمثقال من حديد .

تأمل يامفضل جسم الطائر وخلقته فانه حين قدر ان يكون طائراً فى الجو خفف جسمه وادمج خلقه واقتصر به من القوايم الاربع على اثنتين ومن الاصابع الخمس على اربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ثم خلق ذا جؤ جؤ محدد ليسهل عليه ان يخرق الهواء كيف ما اخذ فيه كما جعلت السفينه بهذه الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه وذنبه ريشات

طوال متان لينهض بها للطيران وكسى كله الريش ليتداخله الهواء فيقله ولماقدر ان يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعاً بلا مضغ نقص من خلقة الانسان وخلق له منقار صلب جاسي يتناول به طعمه فلا ينسحج من لقط الحب ولا يتقصف من نهش اللحم ولما عدم الاسنان وصار يزدرد الحب صحيحاً واللحم غريضاً اعين بفضل حرارة فى الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغنى به عن المضغ واعتبر ذلك بان عجم العنب وغيره يخرج من اجواف الانس صحيحاً ويطحن فى اجواف الطير لايرى له اثر ثم جعل مما يبيض بيضا ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران فانه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لاثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كل شئ من خلقه مشاكلا للامر الذي قدر ان يكون عليه ثم صار الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه اسبوعاً وبعضها اسبوعين وبعضها ثلاثة اسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتتسع حوصلته للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن كلفه ان يلقط الطعم والحب يستخرجه بعد ان يستقر في حوصلته ويغذوبه فراخه ولاى معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي روية ولا تفكر ولا يأمل في فراخه مايؤمل الانسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهذا من فعله يشهد انه معطوف على فراخه لعلة لايعرفها ولا يفكر فيها وهى دوام النسل وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره انظر الى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطى بل تنبعث وتنتفخ وتقوا وتمتنع من

الطعم حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلم كان ذلك منها الا لاقامة النسل ومن اخذها باقامة النسل ولا روية لها ولا تفكير لولا انها مجبولة على ذلك اعتبر بخلق البيضة ومافيها من المح الاصفر الخاثر والماء الابيض الرقيق فبعضه ينشو منه الفرخ وبعضه ليغتذي به الى ان تنقاب عنه البيضة ومافى ذلك من التدبير فانه لو كان نشو الفرخ في تلك القشرة المستحفظة التي لامساغ لشئ اليها جعل معه فى جوفها من الغذاء مايكتفى به الى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حصين لايوصل الى من فيه فيجعل معه من القوت مايكتفى به الى وقت خروجه منه .

فكر يامفضل في حوصلة الطائر وماقدر له فان مسلك الطعم الى القانصة ضيق لاينفذ فيه الطعام الاقليلا قليلا فلو كان الطائر لايلقط حبة ثانية حتى تصل الاولى الى القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفى طعمه فانما يختلسه اختلاساً لشدة الحذر فجعلت له الحوصلة كالمخلاة المعلقة امامه ليوعى فيها مادرك من الطعم بسرعة ثم تنفذه الى القانصة على مهل وفي الحوصلة ايضاً خلة اخرى فان من الطائر مايحتاج الى ان يزق فراخه فيكون رده للطعم من قرب اسهل عليه .

قال المفضل فقلت ان قوماً من المعطلة يزعمون ان اختلاف الالوان والاشكال فى الطير انما يكون من قبل امتزاج الاخلاط ، واختلاف مقاديرها بالمزج والأهمال .

قال يامفضل هذا الوشى الذي نراه في الطواويس والدراج

والتدارج على استواء ومقابلة كنحو مايخط بالاقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لايختلف ولو كان بالاهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفاً تأمل ريش الطير كيف هو فأنك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلوك دقاق قد ألف بعضه الى بعض كتأليف الخيط الى الخيط والشعرة الى الشعرة ثم ترى ذلك النسج اذا مددته ينفتح قليلا ولاينشق لتداخله الريح فيقل الطائر اذا طار وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الذى هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته وهو القصبة التى في وسط الريشة وهو مع ذلك اجوف ليخف على الطائر ولايعوقه عن الطيران ،

هل رأيت يامفضل هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه فانه اكثر ذلك في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كانه ربيئة فوق مرقب وهو يتأمل مايدب فى الماء فاذا رأى شيئا مما يتقوت به خطا خطوات رقيقا حتى يتناوله ولو كان قصير الساقين وكان يخطو نحو الصيد لياخذه يصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه فيتفرق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولايفسد عليه مطلبه . تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر فانك تجد كل طائر طويل الساقين طويل العنق وذلك ليتمكن من تناول طعمه من الارض ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع ان يتناول شيئا من الارض وربما اعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الامر عليه سهولة له وامكانا افلاترى انك لاتفتش شيئا من الخلقة الا وجدته على غاية الصواب والحكمة انظر

الى العصافير كيف تطلب اكلها بالنهار فهى لاتفقده ولاتجده مجموعاً معدا بل تناله بالحركة والطلب وكذلك الخلق كله فسبحان من قدر الرزق كيف فرقه فلم يجعل مما لا يقدر عليه اذ جعل بالخلق حاجة اليه ولم يجعل مبذ ولاينال بالهوينى اذ كان لاصلاح في ذلك فانه لو كان يوجد مجموعاً معدا كانت البهائم تتقلب عليه ولا تنقلع عنه حتى تبشم فتهلك وكان الناس ايضاً يصيرون بالفراغ الى غاية الاشر والبطر حتى يكثر الفساد وتظهر الفواحش اعلمت ماطعم هذه الاصناف من الطير التي لاتخرج الا بالليل كمثل البوم والهام والخفاش قلت لايامولاي قال ان معاشها من ضروب تنتشر في الجو من البعوض والفراش واشباه الجراد واليعاسيب وذلك ان هذه الضروب مبثوثة في الجو لايخلو منها موضع واعتبر ذلك بانك اذا وضعت سراجاً بالليل في سطح اوعرصة دار اجتمع عليه من هذه الضروب شيء كثير فمن اين يأتى ذلك كله الامن القرب فان قال قائل أنه يأتى من الصحارى والبرارى قيل له كيف يوافى تلك الساعة من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلك البعد سراجاً في دار محفوفة بالدور فيقصد اليه مع ان هذه عياناً تتهافت على السراج من قرب فيدل ذلك على أنها منتشرة فى كل موضع من الجو فهذه الاصناف من الطير تلتمسها اذا خرجت فتتقوت بها فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لاتخرج الابالليل من هذه الضروب المنتشرة فى الجو واعرف ذلك المعنى فى خلق هذه الضروب المنتشرة التي عسى ان يظن ظان انها فضل لامعنى

له خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الاربع هو الى ذوات الاربع اقرب وذلك انه ذو اذنين ناشزتين واسنان ووبر وهو يلد ولاداً ويرضع ويبول ويمشي اذامشى على اربع وكل هذا خلاف صفة الطير ، ثم هو ايضا مما يخرج بالليل ويتقوت بما يسري في الجو من الفراش وماشبهه وقد قال قائلون انه لاطعم للخفاش وان غذاه من النسيم وحده وذلك يفسد ويبطل من جهتين احدها خروج الثفل والبول منه فان هذا لايكون من غير طعم والاخرى انه ذو اسنان ولو كان لايطعم شيئاً لم يكن للاسنان فيه معنى وليس في الخلقة شيء لامعنى له واما المآرب فيه فمعروفة حتى ان زبله يدخل في بعض الاعمال ومن اعظم الارب فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جل ثناؤه وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة فاما الطائر الصغير الذي يقال له ابو تمره فقد عشش في بعض الاوقات في بعض الشجر فنظر الى حية عظيمة قد اقبلت نحو عشه فاغرة فاها تبغيه لتبتلعه فبينما هو يتقلب ويضطرب في طلب حيلة منها اذ وجد حسكة فحملها فالقاها في فم الحية فلم تزل الحية تلتوى وتنقلب حتى ماتت افرأيت لولم اخبرك بذلك كان يخطر ببالك او ببال غيرك انه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة اويكون من طائر صغير او كبير مثل هذه الحيلة اعتبر بهذا وكثير من الاشياء يكون فيها منافع لاتعرف الابحادث يحدث اوخبر يسمع به . انظر الى النحل واحتشاده في صنعة العسل وتهيأة البيوت المسدسة وماترى في ذلك من

دقائق الفطنة فانك اذا تأملت العمل رأيته عجيبا لطيفا واذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس واذا رجعت الى الفاعل الفيته غبيا جاهلا بنفسه فضلا عما سوى ذلك ففى هذا اوضح الدلالة على ان الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هى للذي طبعه عليها وسخره فيها لمصلحة الناس . انظر الى هذا الجراد ماضعفه واقواه فانك اذا تأملت خلقه رأيته كاضعف الاشياء وان دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع احدان يحميه منه الاترى ان ملكا من ملوك الارض لوجمع خيله ورجله ليحمى بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك افليس من الدلائل على قدرة الخالق ان يبعث اضعف خلقه الى اقوى خلقه فلا يستطيع دفعه . انظر اليه كيف ينساب على وجه الارض مثل السيل فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا مما يصنع بالايدى متى كان نجتمع منه هذه الكثرة وفى كم سنة كان يرتفع فاستدل بذلك على القدرة التي لايؤدها شئ ولايكثر عليها تأمل خلق السمك ومشاكلته للامر الذي قدر ان يكون عليه فانه خلق غيرذي قوائم لانه لايحتاج الى المشى اذكان مسكنه الماء وخلق غيرذي رية لانه لايستطيع ان يتنفس وهو منغمس في اللجة وجعلت له مكان القوائم اجنحة شداد يضرب بها فى جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبي السفينة وكسى جسمه قشورا متانا متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات فأعين بفضل حس في الشم لان بصره

ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد البعيد فينتجعه فيتبعه والا فكيف يعلم به وبموضعه واعلم ان من فيه الى صماخيه منافذ فهو يعب الماء بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح الى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان الى تنسم هذا النسيم . فكر الان في كثرة نسله وما خص به من ذلك فانك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض مالا يحصى كثرة والعلة في ذلك ان يتسع لما يغتذى به من اصناف الحيوان فان اكثرها يأكل السمك حتى ان السباع ايضا في حافات الاجام عاكفة على الماء ايضاً كي ترصد السمك فاذا مر بها خطفته فلما كانت السباع تأكل السمك والطير يأكل السمك والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه ان يكون على ماهو عليه من الكثرة فاذا اردت ان تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر الى مافى البحار من ضروب السمك ودواب الماء والاصداف والاصناف التي لاتحصى ولاتعرف منافعها الا الشيء بعد الشيء يدركه الناس باسباب تحدث مثل القرمز فانه لما عرف الناس صبغه بان كلبة تجول على شاطيء البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذي يسمى الحلزون فاكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس الى حسنه فاتخذوه صبغاً واشباه هذا مما يقف الناس عليه حالا بعد حال وزماناً بعد زمان .

قال المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاى عليه السلام الى الصلاة وقال بكر الى غداً انشاء الله تعالي فانصرفت وقد تضاعف سروري

بما عرفنيه مبتهجاً بما منحنيه حامداً لله على ما آتانيه فبت ليلتي مسروراً مبتهجاً .

﴿ المجلس الثالث ﴾

فلما كان اليوم الثالث بكرت الى مولاي فستؤذن لي فدخلت فاذن لي بالجلوس فجلست فقال :عليه السلام

{ الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا }

اصطفانا بعلمه وايدنا بحلمه من شذعنا فالنار مأواه ، ومن تفيأ بظل دوحتنا فالجنة مثواه ، قد شرحت لك يامفضل خلق الانسان وما دبر به وتنقله فى احواله ومافيه من الاعتبار وشرحت لك امر الحيوان وانا ابتدئ الآن بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك والليل والنهار والحر والبرد والرياح والجواهر الاربعة الارض والماء والهواء والنار والمطر والصخر والجبال والطين والحجارة والنخل والشجر وما في ذلك من الادلة والعبر فكر فى لون السماء ومافيه من صواب التدبير فان هذا اللون اشد الالوان موافقة وتقوية للبصر حتى ان من صفات الاطباء لمن اصابه شئ اضر ببصره ادمان النظر الى الخضرة وماقرب منها الى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع فى اجانة خضراء مملوءة ماءاً فانظر كيف جعل الله جل وتعالى اديم السماء بهذا اللون الاخضر الى السواد لتمسك الابصار المتقلبة عليه فلا ينكأ فيها بطول

مباشرتها له فصار هذا الذي ادركه الناس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغاً منه في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ويفكر فيها الملحدون قاتلهم الله أنى يؤفكون .

فكر يامفضل في طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتى النهار والليل فلولا طلوعها لبطل امر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في امورهم والدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه والارب فى طلوعها ظاهر مستغنى بظهوره عن الاطناب في ذكره والزيادة في شرحه بل تأمل المنفعة في غروبها فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولاقرار مع عظم حاجتهم الى الهدوء والراحة لسكون ابدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على مايعظم نكايته في ابدانهم فان كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لم يكن لهم هدو ولا قرار حرصا على الكسب والجمع والادخار ثم كانت الارض تستحمى بدوام الشمس بضيائها ويحمى كل ما عليها من حيوان ونبات فقدرها الله بحكمته وتدبيره تطلع وقتا وتغرب وقتاً بمنزلة سراج يرفع لاهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤا ويقروا فصار النور والظلمة مع تضادهما منقادين متظاهرين على مافيه صلاح العالم وقوامه ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة ومافي

ذلك من التدبير والمصلحة ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيها مواد الثمار ويتكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد ابدان الحيوان وتقوى ، وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وتنور الاشجار ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الأبدان ويجف وجه الارض فتهيأ للبناء والاعمال وفي الخريف يصفو الهواء وترتفع الامراض وتصح الابدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الاعمال لطوله ويطيب الهواء فيه الى مصالح اخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام ، فكر الان في تنقل الشمس في البروج الاثنى عشر لاقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي تصح به الازمنة الاربعة من السنة الشتاء والربيع والصيف والخريف وتستوفيها على التمام وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهي الى غاياتها ثم تعود فيستأنف النشو والنمو الاترى ان السنة مقدار مسير الشمس من الحمل الى الحمل فبالسنة واخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم الى كل وقت وعصر من غابر الايام وبها يحسب الناس الاعمار والاوقات الموقتة للديون والاجارات والمعاملات وغير ذلك من امورهم وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة انظر الى شروقها على العالم كيف دبران يكون فانها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لاتعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها الى كثير من الجهات لان الجبال والجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في اول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها

من وجه المغرب ثم لاتزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهى الى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في اول النهار فلا يبقى موضع من المواضع الا اخذ بقسطه من المنفعة منها والارب التي قدرت له ولو تخلفت مقدار عام او بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء افلا ترى كيف كان يكون للناس هذه الامور الجليلة التي لم يكن عندهم فيها حيلة فصارت تجرى على مجاريها لاتفتل ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم ومافيه بقاؤه استدل بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة فى معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لان دوره لا يستوفى الازمنة الاربعة ونشو الثمار وتصرمها ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسنيها وصار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف ، فكر في انارته فى ظلمة الليل والارب فى ذلك فانه مع الحاجة الى الظلمة لهدوء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في ان يكون الليل ظلمة داجية لاضياء فيها فلا يمكن فيه شى من العمل لانه ربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم فى بعض الاعمال فى النهار ولشدة الحر وافراطه فيعمل فى ضوء القمر اعمالا شتى كحرث الارض وضرب اللبن وقطع الخشب وما اشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معايشهم اذا احتاجوا الى ذلك وانساً للسائرين وجعل طلوعه فى بعض الليل دون بعض ونقص مع ذلك عن نور الشمس وضيائها لكيلا ينبسط الناس فى العمل انبساطهم بالنهار ويمتنعوا من

الهدوء والقرار فيهلكهم ذلك وفى تصرف القمر خاصة فى مهله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله تعالى خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم مايعتبر به المعتبرون .

فكر يامفضل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لاتفارق مراكزها من الفلك ولاتسير الامجتمعة وبعضها مطلقة تنتقل فى البروج وتفترق في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين احدهما عام مع الفلك نحو المغرب والاخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحى فالرحى تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة فى ذلك تتحرك حركتين مختلفتين احداهما بنفسها فتتوجه امامها والاخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها الى خلفها فاسأل الزاعمين ان النجوم صارت على ماهى عليه بالاهمال من غير عمد ولاصانع لها مامنعها ان تكون كلها راتبه اوتكون كلها منتقله فان الاهمال معنى واحد فكيف صار يأتى بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير ففى هذا بيان أن مسير الفريقين على مايسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير وليس باهمال كما يزعم المعطلة فان قال قائل ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلا قلنا انها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقلة ومسيرها فى كل برج من البروج كما يستدل بها على اشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولارسم يوقف عليه لانه انما يوقف عليه بمسير المنتقلة منها بتنقلها

فى البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر على الارض بالمنازل التي يجتاز عليها ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ولساغ لقائل ان يقول ان كينونتها على حال واحدة توجب عليها الاهمال من الجهة التي وصفنا ففى اختلاف سيرها وتصرفها وما فى ذلك من المآرب والمصلحة ابين دليل على العمد والتدبير فيها . فكر فى هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعريين وسهيل فانها لو كانت باسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض امورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء اذا طلعت واحتجابها اذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير الوقت الاخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته وما جعلت الثريا واشباهها تظهر حيناً وتحتجب حينا الالضرب من المصلحة وكذلك جعلت بنات نعش ظاهرة لاتغيب لضرب آخر من المصلحة فانها بمنزلة الاعلام التي يهتدى بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة وكذلك انها لاتغيب ولاتتوارى فهم ينظرون اليها متى ارادوا ان يهتدوا بها الى حيث شاؤا وصار الامران جميعاً على اختلافهما موجهين نحو الارب والمصلحة وفيهما مآرب اخرى علامات ودلالات على اوقات كثيرة من الاعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر واشياء مما يحدث في الازمنة من الامطار والرياح والحر والبرد

وبها يهتدى السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة مع مافى ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر فانها تسير أسرع السير واحثه ارايت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ماهي عليه الم تكن تستخطف الابصار بوهجها وشعاعها كالذى يحدث احيانا من البروق اذا توالت واضطرمت في الجو؟ وكذلك ايضا لوان اناسا كانوا فى قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دورانا حثيثا لحارت ابصارهم حتى يخروا لوجوههم ، فانظر كيف قدر ان يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الابصار وتنكأ فيها وباسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها وجعل فيها جزأ يسيرا من الضوء ليسد مسد الاضواء اذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة اذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج الى التجافي فى جوف الليل فان لم يكن شىء من الضوء يهتدى به لم يستطع ان يبرح مكانه . فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدة لحاجة اليها وجعل خلالها شىء من الضوء للمآرب التي وصفنا.

فكر فى هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الازمان الاربعة المتوالية من التنبيه على الارض وماعليها من اصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي بينت وشخصت لك آنفا وهل يخفي على ذى لب ان هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر

حكيم فان قال قائل إن هذا شيء اتفق ان يكون هكذا فما منعه ان يقول مثل هذا في دولاب يراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات فيرى كل شيء من آلاته مقدار بعضه يلقي بعضاً على مافيه صلاح تلك الحديقة ومافيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله وماترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه افينكر ان يقول في دولاب خشب مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الارض انه كان بلا صانع ومقدر ويقدر ان يقول في هذا الدولاب الاعظم المخلوق بحكمة تقصر عنها اذهان البشر لصلاح جميع الارض وماعليها انه شيء اتفق ان يكون بلا صنعة ولا تقدير ؟ لو اعتل هذا الفلك كما تعتل الالات التي تتخذ للصناعات وغيرها اى شيء كان عند الناس من الحيلة في اصلاحه ؟

فكر يامفضل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على مافيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما اذا امتد الى خمس عشرة ساعة لايجاوز ذلك افرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة اومائتى ساعة الم يكن في ذلك بوار كل مافي الارض من حيوان ونبات ، اما الحيوان فكان لايهدأ ولا يقر طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعى لو دام لها ضوء النهار ولا الانسان كان يفتر عن العمل والحركة وكان ذلك ينهكها اجمع ويؤديها الى التلف واما النبات فكان يطول عليه حر النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق اصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب

المعاش حتى نموت جوعاً وتخمد الحرارة الطبيعية عن النبات حتى يعفن ويفسد كالذى تراه يحدث على النبات اذا كان في موضع لاتطلع عليه الشمس. اعتبر بهذا الحر والبرد كيف يتعاوران العالم ويتصر فان هـذا التصرف في الزيادة والنقصان والاعتدال لاقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثم هما بعد دباغ الابدان التي عليها بقاؤها وفيها صلاحها فانه لولا الحر والبرد وتداولهما الابدان لفسدت واخوت وأنتكثت، ففكر في دخول احدهما على الاخر بهذا التدريج والترسل فانك ترى احدهما ينقص شيئاً بعد شيء والاخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهى كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان ولو كان دخول احدهما على الأخر مفاجأة لاضر ذلك بالابدان واسقمها كما ان احدكم لوخرج من حمام حار الى موضع البرودة لضره ذلك واسقم بدنه فلم يجعل الله عز وجل هذا الترسل في الحر والبرد الا للسلامة من ضرر المفاجأة ولمجرى الامر على مافيه السلامة من ضرر المفاجأة لولا التدبير في ذلك فان زعم زاعم ان هذا الترسل في دخول الحر والبرد انما يكون لابطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها سئل عن العلة في ابطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها فان اعتل في الابطاء ببعدما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك فلاتزال هذه المسألة ترقى معه الى حيث رقى من هـذا القول حتى استقر على العمد والتدبير لولا الحر لما كانت الثمار الجاسية المرة تنضج فتلين وتعذب حتى يتفكه بها رطبة ويابسة ولولا البرد

لما كان الزرع يفرخ هكذا ويربع الربع الكثير الذي يتسع للقوت ومايرد في الارض للبذر افلاترى مافي الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يؤلم الابدان ويمضها وفي ذلك عبرة لمن فكر ودلالة على انه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم ومافيه .

وانبهك يامفضل على الريح ومافيها الست ترى ركودها اذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد ان يأتي على النفوس ويمرض الاصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن البقول ويعقب الوباء في الابدان والآفة في الغلات ففي هذا بيان . ان هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق وانبئك عن الهواء بخلة اخرى فان الصوت اثر يؤثره اصطكاك الاجسام في الهواء والهواء يؤديه الى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم فلو كان اثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه فكان يكربهم ويفدحهم وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به الى اكثر مما يحتاج اليه في تجديد القراطيس لان مايلفظ من الكلام اكثر ممايكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاساً خفياً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحى فيعود جديدا نقيا ويحمل ماحمل ابدا بلا انقطاع وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة ومافيه من المصالح فانه حياة هذه الابدان والممسك لها من داخل بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه وفيه تطرد هذه الاصوات

فيؤدى البعد البعيد وهو الحامل لهذه الارواح ينقلها من موضع الى موضع الاترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه ومنه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الاجسام وتزجى السحاب من موضع الى موضع ليعم نفعه حتى يستكثف فيمطر وتفضه حتى يستخف فيتفشى وتلقح الشجر وتسير السفن وترخى الاطعمة وتبرد الماء وتشب النار وتجفف الاشياء الندية وبالجملة انها تحي كل ما فى الارض فلولا الريح لذوى النبات ولمات الحيوان وحمت الاشياء وفسدت .

فكر يامفضل فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الاربعة ليتسع مايحتاج اليه منها فمن ذلك سعة هذه الارض وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت اخشابهم واحطابهم والعقاقير العظيمة والمعادن الجسيم غناؤها ولعل من ينكر هذه الفلوات الخاوية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها فهى مأوى هذه الوحوش ومحالها ومراعيها ثم فيها بعد تنفس ومضطرب للناس اذا احتاجوا الى الاستبدال باوطانهم فكم بيداء وكم فدفد حالت قصورا وجنانا بانتقال الناس اليها وحلولهم فيها ولولا سعة الارض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لايجد مندوحة عن وطنه اذا أحزنه امر يضطره الى الانتقال عنه ثم . فكر في خلق هذه الارض على ماهى عليه حين خلقت راتبة راكنة فتكون موطناً مستقراً للاشياء فيتمكن

الناس من السعى عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم والنوم لهدوءهم والاتقان لاعمالهم فأنها لو كانت رجراجة متكفئة لم يكونوا يستطيعون ان يتقنوا البناء والنجارة والصناعة وما اشبه ذلك بل كانوا لا يتهنون بالعيش والارض ترتج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلة مكثها حتى يصيروا الى ترك منازلهم والهرب عنها فان قال قائل فلم صارت هذه الارض تزلزل قيل له أن الزلزلة وما اشبهها موعظة وترهيب يرهب بها الناس ليرعووا وينزعوا عن المعاصي وكذلك ماينزل بهم من البلاء في ابدانهم واموالهم يجري في التدبير على مافيه صلاحهم واستقامتهم ويدخر لهم ان صلحوا من الثواب والعوض في الاخرة مالا يعدله شيء من امور الدنيا ، وربما عجل ذلك فى الدنيا اذا كان ذلك في الدنيا صلاحاً للعامة والخاصة ، ثم ان الارض في طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة وانما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس فى الحجارة ، افرايت لوان اليبس افرط على الارض قليلا حتى تكون حجراً صلداً اكانت تنبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث أو بناء افلاترى كيف نقصت من يبس الحجارة وجعلت على ماهي عليه من اللين والرخاوة لتتهيأ للاعتماد ومن تدبير الحكيم جل وعلا فى خلقة الارض ان مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب فلم جعل الله عز وجل كذلك الا لتنحدر المياه على وجه الارض فتسقيها وترويها ثم تفيض اخر ذلك الى البحر فكما يرفع احد جانبي

السطح وبخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب لهذه العلة بعينها ولولا ذلك لبقى الماء متحيراً على وجه الارض فكان يمنع الناس من اعمالها ويقطع الطرق والمسالك ثم الماء لولا كثرته وتدفقه في العيون والاودية والانهار لضاق عما يحتاج اليه الناس لشربهم وشرب انعامهم ومواشيهم وسقى زروعهم واشجارهم واصناف غلاتهم وشرب ما يرده من الوحوش والطير والسباع وتتقلب فيه الحيتان ودواب الماء وفيه منافع اخر انت بها عارف وعن عظيم موقعها غافل ، فانه سوى الامر الجليل المعروف من عظيم غنائه في احياء جميع ما على الارض من الحيوان والنبات يمزج الاشربة فتلذ وتطيب لشاربها وبه تنظف الابدان والامتعة من الدرن الذي يغشاها وبه يبل التراب فيصلح للاعمال وبه يكف عادية النار اذا اضطرمت واشرف الناس على المكروه وبه يستحم المتعب الكال فيجد الراحة من اوصابه الى اشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة اليها فان شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت ما الارب فيه فاعلم انه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من اصناف السمك ودواب البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر واصناف شتى تستخرج من البحر وفى سواحله منابت العود اليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير ثم هو بعد مركب للناس ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين الى العراق ومن العراق الى الصين

فان هـذه التجارات لولم يكن لها محمل الا على الظهر لبارت وبقيت في بلدانها وابدى اهلها لان اجر حملها يجاوز اثمانها فلا يتعرض احد لحملها وكان يجتمع في ذلك امران احدهما فقد اشياء كثيرة تعظم الحاجة اليها والاخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيش بفضلها وهكذ الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الانام من الدخان والبخار الذي يتحير فيه ويعجز عما يحول الى السحاب والضباب اولا اولا فقد تقدم من صفته مافيه كفاية والنار ايضاً كذلك فانها لوكانت مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم ومافيه ولما لم يكن بد من ظهور هافى الاحايين لغنائها فى كثير من المصالح جعلت كالمخزونة فى الاجسام فتلتمس عند الحاجة اليها وتمسك بالمادة والحطب ما احتيج الى بقائها لئلا تخبو فلاهى تمسك بالمادة والحطب فتعظم المؤونة فى ذلك ولاهى تظهر مبثوثة فتحرق كل ماهى فيه بل هى على تهيأة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها ثم فيها خلة اخرى وهى انهامما خص بها الانسان دون جميع الحيوان لماله فيها من المصلحة فانه لوفقد النار لعظم مايدخل عليه من الضرر في معاشه فاما البهائم فلا تستعمل النار ولاتستمتع بها ولماقدر الله عز وجل ان يكون هذا هكذا خلق للانسان كفاً واصابع مهياة لقدح النار واستعمالها ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنها اعينت بالصبر على الجفاء والخلل فى المعاش لكيلا ينالها فى فقد النار ماينال الانسان عند فقدها . وانبئك من منافع النار على خلقة صغيرة عظيم موقعها وهى هذا

المصباح الذي يتخذه الناس فيقضون به حوائجهم ماشاؤا في ليلهم ولولا هـذه الخلة لـكان الناس تصرف اعمارهم بمنزلة من في القبور فمن كان يستطيع ان يكتب اويحفظ اوينسج في ظلمة الليل وكيف كان حال من عرض له وجع فى وقت من اوقات الليل فاحتاج الى ان يعالج ضمادا اوسفوفاً اوشيئاً يستشفى به ، فاما منافعها في نضج الاطعمة ودفاء الابدان وتجفيف اشياء وتحليل اشياء واشباه ذلك فاكـثر من ان تحصى واظهر من ان تخفى .

فـكر يامفضل فى الصحو والمطر كيف يتعاقبان على هذا العالم لمافيه صلاحه ولودام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده ، الاترى ان الامطار اذا توالت عفنت البقول والخضر واسترخت ابدان الحيوان وخصر الهواء فاحدث ضروبا من الامراض وفسدت الطرق والمسالك وان الصحو اذا دام جفت الارض واحترق النبات وغيظ ماء العيون والاودية فاضر ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء فاحدث ضروباً اخرى من الامراض فاذا تعاقبا على العالم هـذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الاخر فصلحت الاشياء واستقامت ، فان قال قائل ولم لايكون فى شيء من ذلك مضرة البتة قيل له ليمض ذلك الانسان ويؤلمه بعض الالم فيرعوى عن المعاصى فـكما ان الانسان اذا سقم بدنه احتاج الى الادوية المرة البشعة ليقوم طباعـه ويصلح مافسد منه كـذلك اذا طغي واشتد احتاج الى مايعضه ويؤلمه ليرعوى ويقصر

عن مساويه ويثبته على مافيه حضه ورشده ولو ان ملكاً من الملوك قسم في اهل مملكته قناطير من ذهب وفضة لم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت فاين هذا من مطرة رواء يعم به البلاد ويزيد في الغلات اكثر من قناطير الذهب والفضة في اقاليم الارض كلها افلا ترى المطرة الواحدة ما اكبر قدرها واعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت عن احدهم حاجة لاقدر لها فيتذمر ويسخط ايثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جميلا محمود العاقبة وقلة معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها تأمل نزوله على الارض والتدبير في ذلك فانه جعل ينحدر عليها من علو ليغشى ماغلظ وارتفع منها فيرويه ولو كان انما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفة منها ويقل مايزرع في الارض الاترى ان الذي يزرع سيحا اقل من ذلك فالامطار هى التي تطبق الارض وربما تزرع هذه البرارى الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤنة سياق الماء من موضع الى موضع وما يجرى في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذو العز والقوة ويحرمه الضعفاء ثم انه حين قدر ان ينحدر على الارض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيها بالرش ليغور في قعر الارض فيرويها ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الارض فلايغور فيها ثم كان يحطم الزروع القائمة اذا اندفق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا فينبت الحب المزروع ويحيي الارض والزرع القائم وفى نزوله ايضا

مصالح اخرى فانه يلين الابدان ويجلوا كدر الهواء ، فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل مايسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان الى اشباه هذا من المنافع فان قال قائل اوليس قد يكون منه فى بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة مايقع منه اوبرد يكون فيه تحطم الغلات وبخورة يحدثها في الهواء فيولد كثيراً من الامراض فى الابدان والآفات فى الغلات قيل بلى قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الانسان وكفه عن ركوب المعاصى والتمادى فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه ارجح مماعسى ان يرزأ فى ماله .

انظر يامفضل الى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون فضلا لاحاجة اليها والمنافع فيها كثيرة فمن ذلك ان تسقط عليها الثلوج فتبقى في قلالها لمن يحتاج اليه ويذوب ماذاب منه فتجرى منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الانهار العظام وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لاينبت مثلها في السهل ويكون فيها كهوف ومعاقل الوحوش من السباع العادية ويتخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرز من الاعداء وينحت منها الحجارة للبناء والارحاء ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر وفيها خلال اخر لايعرفها الا المقدرلها فى سابق علمه .

فكر يامفضل فى هذه المعادن ومايخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجبسين والزرانيخ والمرتك والتوتيا والزيبق والنحاس

والرصاص والفضة والذهب والزبرجد والياقوت والزمرد وضروب الحجارة وكذلك مايخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم فهل يخفى على ذى عقل ان هذه كلها ذخائر ذخرت للانسان في هذه الارض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة اليها ، ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم فى ذلك فانهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لامحالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر الفضة والذهب ويسقطا عند الناس فلا تكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشراء والبيع والمعلات ولا كان يجبى السلطان الاموال ولايدخرهما احد للاعقاب وقد اعطى الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل والفضة من الرصاص والذهب من الفضه واشباه ذلك مما لامضرة فيه فانظر كيف اعطوا ارادتهم في مالا ضرر فيه ومنعوا ذلك فيما كان ضارا لهم لو نالوه ومن اوغل في المعادن انتهى الى واد عظيم يجرى منصلتا بماء غزير لايدرك غوره ولاحيلة في عبوره ومن ورائه امثال الجبال من الفضة . تفكر الان في هذا من تدبير الخالق الحكيم فانه اراد جل ثناؤه ان يرى العباد قدرته وسعة خزائنه ليعلموا انه لو شاء ان يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل ، لكن لاصلاح لهم في ذلك لانه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلة انتفاعهم به واعتبر ذلك بانه قد يظهر الشيء الظريف مما يحدثه الناس من الاواني والامتعه فمادام عزيزاً قليلا

فهو نفيس جليل آخذ الثمن فاذا فشا وكثر فى ايدى الناس سقط عندهم وخست قيمته ونفاسة الاشياء من عزتها .

فكر يامفضل فى هذا النبات ومافيه من ضروب المآرب فالثمار للغذاء والاتبان للعلف والحطب للوقود والخشب لكل شئ من انواع النجارة وغيرها واللحاء والورق والاصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع ارأيت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الارض ولم تكن تنبت على هذه الاغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل فى معاشنا وان كان الغذاء موجوداً فان المنافع بالخشب والحطب والاتبان وسائر ماعددناه كثيرة عظيم قدرها جليل موقعها هذا مع مافى النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته التي لايعد لها شئ من مناظر العالم وملاهيه .

فكر يامفضل في هذا الريع الذي جعل فى الزرع فصارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة واكثر واقل وكان يجوز للحبة ان تأتى بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع الا ليكون في الغلة متسع لما يرد فى الارض من البذر ومايتقوت الزراع الى ادراك زرعها المستقبل الاترى ان الملك لواراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك ان يعطى اهله مايبذرونه في ارضهم وما يقوتهم الى ادراك زرعهم ، فانظر كيف نجد هذا المثال قد تقدم فى تدبير الحكيم فصار الزرع يريع هذا الريع ليفى بما يحتاج اليه للقوت والزراعة وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير فانك

ترى الاصل الواحد حوله من فراخه امراً عظيماً فلم كان كذلك الا ليكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه فى مآربهم ومابرد فيغرس فى الارض ولو كان الاصل منه يبقى منفرداً لايفرخ ولايربع لما امكن ان يقطع منه شئ لعمل ولا لغرس ثم كان ان اصابته آفة انقطع اصله فلم يكن منه خلف . تأمل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلا وما اشبه ذلك فانها تخرج فى اوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات الى ان تشتد وتستحكم كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه واما البر وما أشبهه فانه يخرج مدرجاً فى قشور صلاب على رؤوسها امثال الاسنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزراع فان قال قائل اوليس قد ينال الطير من البر والحبوب قيل له بلى على هذا قدر الامر فيها لان الطير خلق من خلق الله تعالى وقد جعل الله تعالى وتبارك له في ما تخرج الارض حظاً ولكن حصنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعبث فيها ويفسد الفساد الفاحش فان الطير لوصادف الحب بارزا ليس عليه شئ يحول دونه لأكب عليه حتى ينسفه اصلا فكان يعرض من ذلك ان يبشم الطير فيموت ويخرج الزراع من زرعه صفراً فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطائر منه شيئاً يسيراً يتقوت به ويبقى اكثره للانسان فانه اولى به اذ كان هو الذى كدح فيه وشقى به وكان الذى يحتاج اليه اكثر مما يحتاج اليه الطير . تأمل الحكمة في خلق الشجر واصناف النبات فانها

لما كانت تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها افواه كافواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت اصولها مركوزة فى الارض لتنزع منها الغذاء فتؤديه الى الاغصان وماعليها من الورق والثمر فصارت الارض كالأم المربية لهاوصارت اصولها التي هى كالافواه ملتقمة للارض لتنزع منها الغذاء كما ترضع اصناف الحيوان امهاتها الم تر الى عمد الفساطيط والخيم كيف تمد بالاطناب من كل جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولاتميل فهكذا تجدالنبات كله له عروق منتشرة في الارض ممتدة الى كل جانب لتمسكه وتقيمه ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف ؟ فانظر الى حكمة الخلقة كيف سبقت حكمـة الصناعة فصارت الحيلة التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم متقدمـة في خلق الشجر لئن خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم الاترى عمدها وعيدانها من الشجر فالصناعة مأخوذة من الخلقة .

تأمل يامفضل خلق الورق فانك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها اجمع فمنها غلاظ ممتـدة فى طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقا معجماً لو كان ممايصنع بالايدى كصنعة البشر لمافرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل ولاحتيج الى الآت وحركة وعلاج وكلام فصار يأتي منه في ايام قلائل من الربيع مايملأ الجبال والسهل وبقاع الارض كلها بلا حركة ولا كلام الابالارادة

النافـذة في كل شئ والامر المطاع واعرف مع ذلك العلة فى تلك العروق الدقاق فانها جعلت تتخلل الورقة بامرها لتسقيها وتوصل الماء اليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء الى كل جزء منه وفي الغلاظ منها معنى آخر فانها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلا تنهتك وتتمزق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قـد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكى الخلقة وان كانت لاتدركها على الحقيقة . فـكر في هذا العجم والنوى والعلة فيه فانه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس ان عاق دون الغرس عائق كما يحرز الشئ النفيس الذى تعظم الحاجة اليه في مواضع اخر فان حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد فى موضع اخر ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها ولولا ذلك لتشدخت وتفسخت واسرع اليها الفساد وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح وقد تبين لك موضع الارب فى العجم والنوى . فـكر الان في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة فما العلة فيه ولماذا يخرج في هذه الهيأة وقد كان يمكن ان يكون مكان ذلك ماليس فيه مأكل كمثل ما يكون فى السدر والدلب وما اشبه ذلك فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة الا ليستمتع بها الانسان . فـكر في ضروب من التدبير في الشجر فانك تراه يموت فى كل سنة موتة فتحتبس الحرارة الغريزية في عوده ويتولد فيه مواد الثمار ثم يحي وينتشر فيأتيك بهذه الفواكه

نوعا بعد نوع كما تقدم اليك انواع الاطبخة التي تعالج بالايدى واحداً بعد واحد ، فترى الاغصان فى الشجر تتلقاك بثمارها حتى كأنها تناولكها عن يد وترى الرياحين تتلقاك فى افنانها كأنها تجيئك بانفسها فلمن هذا التقدير الا لمقدر حكيم ؟ وما العلة فيه الا تفكيه الانسان بهذه الثمار والانوار والعجب من اناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها واعتبر بخلق الرمانة وماترى فيها من اثر العمد والتدبير فانك ترى فيها كامثال التلال من شحم مركوم في نواحيها وحب مرصوفاً صفاً كنحو ماينضد بالايدى وترى الحب مقسوماً اقساماً وكل قسم منها ملفوفاً بلفائف من حجب منسوجة اعجب النسج والطفه وقشره يضم ذلك كله فمن التدبير فى هذه الصنعة انه لم يكن يجوز ان يكون حشو الرمانة من الحب وحده وذلك ان الحب لايمد بعضه بعضاً فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء الاترى ان اصول الحب مركوزة في ذلك الشحم ثم لف بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب ، وغشى فوق ذلك بالقشرة المستحصفة لتصونه وتحصنه من الآفات فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة وفيه اكثر من هذا لمن اراد الاطناب والتذرع في الكلام ولكن فيما ذكرت لك كفاية فى الدلالة والاعتبار .

فكر يامفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ ومافى ذلك من التدبير والحكمة فانه حين قدران يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الارض ولو كان ينتصب

قائما كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع ان يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ولتقصف قبل ادراكها وانتهائها الى غاياتها فانظر كيف صار يمتد على وجه الارض ليلقي عليها ثماره فتحملها عنه فترى الاصل من القرع والبطيخ مفترشا للارض وثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنه هرة ممتدة وقد اكتنفتها اجراؤها لترضع منها وانظر كيف صارت الاصناف توافي فى الوقت المشاكل لها من حمارة الصيف ووقدة الحر فتلقاها النفوس بانشراح وتشوق اليها ولو كانت توافي فى الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعرارا منها مع مايكون فيها من المضرة للابدان الاترى انه ربما ادرك شئ من الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من اكله الا الشره الذي لايمتنع من اكل مايضره ويسقم معدته .

فكر يامفضل فى النخل فانه لما صار فيه اناث تحتاج الى التلقيح جعلت فيه ذكورة للقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذي يلقح الاناث لتحمل وهو لايحمل تأمل خلقة الجذع كيف هو فانك تراه كالمنسوج نسجاً من خيوط ممدودة كالسدى واخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ماينسج بالايدى وذلك ليشتد ويصلب ولايتقصف من حمل القنوان الثقيله وهز الرياح العواصف اذا صار نخلة وليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه اذا صار جذعا وكذلك ترى الخشب مثل النسج فانك ترى بعضه مداخلا بعضه بعضا طولا وعرضا كتداخل اجزاء اللحم وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ

منه من الالات فانه لو كان مستحصفا كالحجارة لم يمكن ان يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة كالابواب والاسرة والتوابيت وما اشبه ذلك ومن جسيم المصالح في الخشب انه يطفو على الماء فكل الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف جلالة الامر فيه فلولا هذه الخلة كيف كانت هذه السفن والاظراف تحمل امثال الجبال من الحمولة واني كان ينال الناس هذا الرفق وخفة المؤنة في حمل التجارات من بلد الى بلد وكانت تعظم المؤنة عليهم فى حملها حتى يلقى كثير مما يحتاج اليه في بعض البلدان مفقوداً اصلا اوعسر وجوده . فكر في هذه العقاقير وماخص بها كل واحد منها من العمل في بعض الادواء فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج وهذا ينزف المرة السوداء مثل الافيتمون وهذا ينفى الرياح مثل السكبينج وهذا يحلل الاورام واشباه هذا من افعالها فمن جعل هذه القوى فيها الامن خلقها للمنفعة ومن فطن الناس لها الامن جعل هذا فيها ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال القائلون وهب الانسان فطن لهذه الاشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحه ان اصابته ببعض العقاقير فيبرأ وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم واشباه هذا كثير ولعلك تشكك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا انس ولا أنيس فتظن انه فضل لا حاجة اليه وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وحبه علف

للطير وعوده وافنانه حطب فيستعمله الناس وفيه بعد اشياء تعالج بها الابدان واخرى تدبغ بها الجلود واخرى تصبغ الامتعة واشباه هذا من المصالح الست تعلم ان من اخس النبات واحقره هذا البردى وما اشبهها ففيها مع هذا من ضروب المنافع فقد يتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج اليها الملوك والسوقة والحصر التي يستعملها كل صنف من الناس ويعمل منه الغلف التي يوقى بها الاواني ويجعل حشوا بين الظروف في الاسفاط لكيلا تعيب وتنكسر واشباه هذا من المنافع فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبماله قيمة ومالا قيمة له واخس من هذا واحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معا وموقعها من الزروع والبقول والخضر اجمع الموقع الذي لايعدله شئ حتى أن كل شئ من الخضر لايصلح ولايزكو الا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه واعلم انه ليس منزلة الشئ على حسب قيمته بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيسا في سوق العلم فلا تستصغر العبرة في الشئ لصغر قيمته فلو فطنوا طالبو الكيمياء لما في العذرة لاشتروها بانفس الاثمان وغالوا بها

قال المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي الى الصلاة وقال بكر الى غدا ان شاء الله تعالى فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا بما آتانيه حامداً لله على مامنحنيه فبت ليلتي مسروراً .

***

المجلس الرابع

قال المفضـل فلما كان اليوم الرابع بكرت الى مولاي فاستؤذن لي فامرني بالجلوس فجلست فقال : عليه السلام منا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس للاسم الاقدم والنور الاعظم العلى العلام ذي الجلال والاكرام ومنشئ الانام ومفنى العوالم والدهور وصاحب السر المستور والغيب المحظور والاسم المخزون والعلم المكنون وصلواته وبركاته على مبلغ وحيه ومؤدي رسالته الذي بعثه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينة فعليه وعلى اله من بارئه الصلوات الطيبات والتحيات الزاكيات الناميات وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات فى الماضين والغابرين ابد الآبدين ودهر الداهرين وهم اهله ومستحقوه . قد شرحت لك يامفضل من الادلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد فى الانسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك مافيه عبرة لمن اعتبر وانا اشرح لك الآن الآفات الحادثة فى بعض الازمان التي اتخذها اناس من الجهال ذريعة الى جحود الخلق والخالق والعمد والتدبير وما انكرت المعطلة والمنانية من المكاره والمصائب وما انكروه من الموت والفناء وما قاله اصحاب الطبايع ومن زعم ان كون الاشياء بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك القول في الرد

عليهم قاتلهم الله انى يؤفكون . اتخذ اناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الازمان كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراد ذريعة الى جحود الخالق والتدبير والخلق فيقال في جواب ذلك انه ان لم يكن خالق ومدبر فلم لايكون ماهو اكثر من هذا وافظع فمن ذلك ان تسقط السماء على الارض وتهوى الارض فتذهب سفلا وتتخلف الشمس عن الطلوع اصلا وتجف الانهار والعيون حتى لايوجد ماء للشفة وتركد الريح حتى تخم الاشياء وتفسد ويفيض ماء البحر على الارض فيغرقها ثم هذه الافات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما اشبه ذلك مابالها لاتدوم وتمتد حتى تجتاح كل مافي العالم بل تحدث فى الاحايين ثم لاتلبث ان ترفع افلا ترى ان العالم يصان ويحفظ من تلك الاحداث الجليلة التي لوحدث عليه شئ منها كان فيه بواره ويلذع احيانا بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم ثم لاتدوم هذه الآفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم فيكون وقوعها بهم موعضة وكشفها عنهم رحمة وقد انكرت المنانية من المكاره والمصائب التي تصيب الناس فكلاهما يقول ان كان للعالم خالق رؤوف رحيم فلم تحدث فيه هذه الامور المكروهة والقائل بهذا القول يذهب الى انه ينبغى ان يكون عيش الانسان فى هذه الدنيا صافيا من كل كدر ولو كان هكذا كان الانسان يخرج من الاشر والعتوالى مالا يصلح في دين ولادنيا كالذي ترى كثيرا من المترفين ومن نشأفى الجدة والامن يخرجون اليه حتى ان احدهم ينسى انه بشر و انه مربوب

او ان ضرراً يمسه او ان مكروهاً ينزل به او انه يجب عليه ان يرحم ضعيفا او يواسى فقيرا اويرثى لمبتلى اويتحنن على ضعيف اويتعطف على مكروب فاذا عضته المكاره ووجد مضضها اتعظ وابصر كثيراً مما كان جهله وغفل عنه ورجع الى كثير مما كان يجب عليه والمنكرون لهذه الامور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمون الادوية المرة البشعة ويتسخطون من المنع من الاطعمة الضارة ويتكرهون الادب والعمل ويحبون ان يتفرغوا للهو والبطالة وينالوا كل مطعم ومشرب ولا يعرفون ماتؤديهم اليه البطالة من سوء النشو والعادة وماتعقبهم الاطعمة اللذيذة الضارة من الادواء والاسقام وما لهم فى الادب من الصلاح وفي الادوية من المنفعة وان شاب ذلك بعض الكراهة فان قالوا فلم لم يكن الانسان معصوما من المساوى حتى لايحتاج الى ان تلذعه هذه المكاره قيل اذا كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها ولا مستحقا للثواب عليها فان قالوا وما كان يضره ان لايكون محموداً على الحسنات مستحقا للثواب بعد ان يصير الى غاية النعيم واللذات قيل لهم اعرضوا على امرء صحيح الجسم والعقل ان يجلس منعما ويكفى كلما يحتاج اليه بلا سعى ولا استحقاق فانظروا هل تقبل نفسه ذلك بل ستجدونه بالقليل ممايناله بالسعى والحركة اشد اغتباطاً وسروراً منه بالكثير ممايناله بغير الاستحقاق وكذلك نعيم الآخرة ايضاً يكمل لاهله بان ينالوه بالسعى فيه والاستحقاق له فالنعمة على الانسان في هذا الباب مضاعفة فان اعدله الثواب الجزيل على سعيه فى

هذه الدنيا وجعل له السبيل الى ان ينال ذلك بسعى واستحقاق فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه فان قالوا اوليس قد يكون من الناس من ركن الى مانال من خير وان كان لايستحقه فما الحجة في منع من رضى ان ينال نعيم الاخرة على هذه الجملة قيل لهم ان هذا باب لوصح للناس لخرجوا الى غاية الكلبة والضراوة على الفواحش وانتهاك المحارم فمن كان يكف نفسه عن فاحشة اويتحمل المشقة في باب من ابواب البرلوثق بانه صائر الى النعيم لامحالة او من كان يأمن على نفسه واهله وماله من الناس لولم يخاف الحساب والعقاب فكان ضرر هذا الباب سينال الناس فى هذه الدنيا قبل الاخرة فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معا وموضع للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع الامور فى غير مواضعها وقد يتعلق هؤلاء بالآفات التي تصيب الناس فتعم البر والفاجر اويبتلى بها البر ويسلم الفاجر منها فقالوا كيف يجوز هذا فى تدبير الحكيم وما الحجة فيه فيقال لهم ان هذه الآفات وان كانت تنال الصالح والطالح جميعاً فان الله عز وجل جعل ذلك صلاحا للصنفين كليهما اما الصالحون فان الذي يصيبهم من هذا يزدهم نعم ربهم عندهم في سالف ايامهم . فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر واما الطالحون فان مثل هذا اذا نالهم كسر شرتهم وردعهم عن المعاصى والفواحش وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحاً فى ذلك اما الابرار فانهم يغتبطون بما هم عليه من البر والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة واما الفجار فانهم يعرفون رأفة

ربهم وتطوله عليهم بالسلامة من غير استحقاق فيحضهم ذلك على الرأفة بالناس والصفح عمن اساء اليهم ولعل قائلا يقول ان هذه الآفات التي تصيب الناس في اموالهم فما قولك فيما يبتلون به في ابدانهم فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف فيقال له ان الله جعل في هذا ايضاً صلاحاً للصنفين جميعا اما الابرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها واما والفجار فلما لهم في ذلك من تمحيص اوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها وجملة القول ان الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الامور كلها الى الخير والمنفعة فكما انه اذا قطعت الريح شجرة او قطعت نخلة اخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب من المنافع فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الافات التي تنزل بالناس في ابدانهم واموالهم فيصيرها جميعاً الى الخير والمنفعة فان قال ولم تحدث على الناس قيل له لكيلا يركنوا الى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر فان هذين الامرين جميعاً يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبههم على ما فيه رشدهم فلو خلوا منها لغلوا في الطغيان والمعصية كما غلا الناس في اول الزمان حتي وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الارض منهم ومما ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء فانهم يذهبون الي انه ينبغي ان يكون الناس مخلدين في هذه الدنيا مبرئين من هذه

الافات فينبغي ان يساق هذا الامر الى غايته فينظر مامحصوله افرأيت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون ولايموت احـدمنهم الم تـكن الارض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع والمعائش فانهم والموت يفنيهم اولا فاولا يتنافسون في المساكن والمزارع حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب وتسفك فيهم الدماء فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولايموتون وكان يغلب عليهم الحرص والشره وقساوة القلوب فلو وثقوا بانهم لايموتون لماقنع الواحد منهم بشيء يناله ولاافرج لاحد عن شيء يساله ولاسلا عن شيء ممايحـدث عليه ثم كانوا يملون الحياة وكل شيء من امور الدنيا كما قـد يمل الحياة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا فان قالوا انه كان ينبغي انه يرفع عنهم المكاره والاوصاب حتى لايتمنوا الموت ولايشتاقوا اليه فقد وصفنا ما كان يخرجهم اليه من العتو والاشر الحامل لهم على مافيه فساد الدنيا والدين وان قالوا انه كان ينبغي ان لايتو الدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعايش قيل لهم اذا كان يحرم اكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله تعالى ومواهبه في الدارين جميعا اذا لم يدخل العالم الاقرن واحد لايتو الدون ولا يتناسلون فان قالوا انه كان ينبغي ان يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ماخلق ويخلق الى انقضاء العالم يقال لهم رجع الامر الى ماذكرنا من ضيق المساكن والمعايش عنهم ثم لو كانوا لايتو الدون ولايتناسلون لذهب موضع الانس بالقرابات وذوي الارحام

والانتصار بهم عند الشدائد وموضع تربية الاولاد والسرور بهم ففي هذا دليل على ان كلما تذهب اليه الاوهام سوى ماجرى به التدبير خطأ وسفه من الرأى والقول ولعل طاعنا يطعن على التدبير من جهة اخرى فيقول كيف يكون هاهنا تدبير ونحن نرى الناس فى هذه الدنيا من عز بز فالقوى يظلم ويغصب والضعيف يظلم ويسام الخسف والصالح فقير مبتلى والفاسق معافى موسع عليه ومن ركب فاحشة او انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبة فلو كان فى العالم تدبير لجرت الامور على القياس القائم فكان الصالح هو المرزوق والطالح هو المحروم وكان القوى يمنع من ظلم الضعيف والمنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبة فيقال فى جواب ذلك ان هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الذي فضل به الانسان على غيره من الخلق وحمل النفس على البر والعمل الصالح احتسابا للثواب وثقة بما وعد الله عنه ولصار الناس بمنزلة الدواب التي تساس بالعصا والعلف ويلمع لها بكل واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ولم يكن احد يعمل على يقين بثواب اوعقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد الانسية الى حد البهائم ثم لايعرف ماغاب ولايعمل الا على الحاضر من نعيم الدنيا وكان يحدث من هذا ايضا ان يكون الصالح انما يعمل للرزق والسعة فى هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم والفواحش انما يكف عن ذلك لترقب عقوبة تنزل به من ساعته حتى تكون افعال الناس كلها تجري على الحاضر لايشوبه شئ من اليقين بما عند الله ولا يستحقون ثواب

الاخرة والنعيم الدائم فيها مع ان هـذه الامور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه بل قد تجري على ذلك احياناً والامر المفهوم فقد ترى كثيرا من الصالحين يرزقون المال لضروب من التدبير وكيلا يسبق الى قلوب الناس ان الكفار هم المرزوقون والابرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح وترى كثيرا من الفساق يعاجلون بالعقوبة اذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى انفسهم كما عوجل فرعون بالغرق وبخت نصر بالتيه وبلبيس بالقتل وان امهل بعض الاشرار بالعقوبة واخر بعض الاخيار بالثواب الى الدار الاخرة لاسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير فان مثل هذا قد يكون من ملوك الارض ولا يبطل تدبيرهم بل يكون تاخيرهم ما اخروه وتعجيلهم ما عجلوه داخلا في صواب الرأى والتدبير واذا كانت الشواهد تشهد وقياسهم يوجب ان للاشياء خالقا حكيما قادراً فما يمنعه ان يدبر خلقه فانه لايصلح في قياسهم ان يكون الصانع يهمل صنعته الا باحدى ثلاث خلال اما عجز واما جهل واما شرارة وكل هذا محال فى صنعته عز وجل وتعالى ذكره وذلك ان العاجز لايستطيع ان يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة والجاهل لايهتدى لما فيها من الصواب والحكمة والشرير لايتطاول لخلقها وانشائها واذا كان هذا هكذا وجب ان يكون الخالق لهذه الخلائق يدبرها لامحالة وان كان لايدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه فان كثيراً من تدبير الملوك

لا تفهمه العامــة ولا تعرف اسبابه لانها لا تعرف دخيلة امر الملوك واسرارهم فاذا عرف سببه وجد قائما على الصواب والشاهد المحنة ولو شككت فى بعض الادوية والاطعمة فيتبين لك من جهتين او ثلاث انه حار اوبارد الم تـكن ستقضى عليه بذلك وتنفى الشك فيه عن نفسك فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخلق والتدبير مع هذه الشواهد الـكثيرة واكثر منها مالا يحصى كثرة ولو كان نصف العالم ومافيه مشكلا صوابه لما كان من حزم الرأى وسمت الادب ان يقضى على العالم بالاهمال لانه كان في النصف الاخر وما يظهر فيه من الصواب واتقان مايردع الوهم عن التسرع الى هذه القضية فـكيف وكلما فيه اذا فتش وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر بالبال شئ الا وجدما عليه الخلقة اصح واصوب منه .

واعلم يامفضل ان اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم قوسموس وتفسيره الزينة وكـذلك سمته الفلاسفة ومن ادعى الحـكمة افـكانوا يسمونه بهذا الاسم الا لما رأوا فيه من التقدير والنظام فلم يرضوا ان يسموه تقديراً ونظاما حتى سموه زينة ليخبروا انه مع ماهو عليه من الصواب والاتقان على غاية الحسن والبهاء .

اعجب يامفضل من قوم لا يقضون على صناعة الطب بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطئ ويقضون على العالم بالاهمال ولا يرون شيأ منه مهملا بل اعجب من اخلاق من ادعى الحـكمة حتى جهلوا مواضعها في الخلق

فارسلوا السنتهم بالذم للخالق جل وعلا بل العجب من المخذول (ماني) حين ادعى علم الاسرار وعمى عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه الى الخطأ ونسب خالقه الى الجهل تبارك الحكيم الكريم واعجب منهم جميعاً المعطلة الذين راموا ان يدركوا بالحس مالا يدرك بالعقل فلما اعوزهم ذلك خرجوا الى الجحود والتكذيب فقالوا ولم لا يدرك بالعقل قيل لانه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ماهو فوق مرتبته فانك لو رايت حجراً يرتفع فى الهواء علمت ان رامياً رمى به فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل لان العقل هو الذي يميزه فيعلم ان الحجر لا يذهب علواً من تلقاء نفسه افلا ترى كيف وقف البصر على حده فلم يتجاوزه فكذلك يقف العقل على حده من معرفة الخالق فلا يعدوه ولكن يعقله بعقل اقرأن فيه نفساً ولم يعاينها ولم يدركها بحاسة من الحواس وعلى حسب هذا ايضاً نقول ان العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الاقرار ولا يعرفه بما يوجب له الاحاطة بصفته فان قالوا فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف ولا يحيط به قيل لهم انما كلف العباد من ذلك مافي طاقتهم ان يبلغوه وهو ان يوقنوا به ويقفوا عند امره ونهيه ولم يكلفوا الاحاطة بصفته كما ان الملك لا يكلف رعيته ان يعلموا أطويل هو ام قصير وابيض هو ام اسمر وانما يكلفهم الاذعان لسطانه والانتهاء الى امره الا ترى ان رجلا لو أتى باب الملك فقال اعرض على نفسك حتى اتقصى معرفتك والالم اسمع لك كان قد احل نفسه بالعقوبة فكذا القائل انه

لا يقر بالخالق سبحانه حتى يحيط بكنهه متعرضا لسخطه فان قالوا او ليس قد نصفه فنقول هو العزيز الحكيم الجواد الكريم قيل لهم كل هذه صفات اقرار وليست صفات احاطة فانا نعلم أنه حكيم ولا نعلم بكنه ذلك منه وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته كما قد نرى السماء فلا ندري ماجوهرها ونرى البحر ولا ندرى اين منتهاه بل فوق هذا المثال بما لا نهاية له ولان الامثال كلها تقصر عنه ولكنها تقود العقل الى معرفته فان قالوا ولم يختلف فيه قيل لهم لقصر الاوهام عن مدى عظمته وتعديها اقدارها فى طلب معرفته وانها تروم الاحاطة به وهى تعجز عن ذلك ومادونه فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة امرها ولذلك كثرت الاقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون فى وصفها فقال بعضهم هو فلك اجوف مملوء ناراً له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع وقال آخرون هو سحابة وقال آخرون هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر وقال آخرون هو اجزاء كثيرة مجتمعة من النار وقال آخرون هو من جوهر خامس سوى الجواهر الاربعة ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم هى بمنزلة صفيحة عريضة وقال آخرون هى كالكرة المدحرجة وكذلك اختلفوا فى مقدارها فزعم بعضهم انها مثل الارض سواء وقال آخرون بل هى اقل من ذلك وقال آخرون بل هى اعظم من الجزيرة العظيمة وقال اصحاب الهندسة هى اضعاف الارض مأة وسبعين مرة ففى اختلاف هذه الاقاويل منهم في

الشمس دليل على انهم لم يقفوا على الحقيقة من امرها فاذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر ويدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف مالطف عن الحس واستتر عن الوهم فان قالوا ولم استتر قيل لهم لم يستتر بحيلة يخلص اليها كمن يحتجب من الناس بالابواب والستور وانما معنى قولنا استتر انه لطف عن مدى ماتبلغه الاوهام كما لطفت النفس وهى خلق من خلقه وارتفعت عن ادراكها بالنظر فان قالوا ولم لطف تعالى عن ذلك علواً كبيرا كان ذلك خطأ من القول لانه لايليق بالذي هو خالق كل شئ الا ان يكون مبايناً لكل شئ متعالياً عن كل شئ سبحانه وتعالى فان قالوا كيف يعقل ان يكون مبايناً لكل شئ متعالياً قيل لهم الحق الذي نطلب معرفته من الاشياء هو اربعة اوجه فاولها ان ينظر أموجود هوام ليس بموجود والثانى ان يعرف ماهو فى ذاته وجوهره والثالث ان يعرف كيف هو وماصفته والرابع ان يعلم لماذا هو ولأية علة فليس من هذه الوجوه شئ يمكن للمخلوق ان يعرفه من الخالق حق معرفته غير انه موجود فقط فاذا قلنا وكيف وماهو فممتنع علم كنهه وكمال المعرفة به واما لماذا هو فساقط في صفة الخالق لانه جل ثناؤه علة كل شئ وليس شئ بعلة له ثم ليس علم الانسان بانه موجود يوجب له ان يعلم ماهو وكيف هو كما ان علمه بوجود النفس لايوجب ان يعلم ماهى وكيف هى وكذلك الامور الروحانية اللطيفة فان قالوا فانتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفاً حتى كانه غير

معلوم قيل لهم هو كذلك من جهة اذا رام العقل معرفة كنهه والاحاطة به وهو من جهة اخرى اقرب من كل قريب اذا استدل عليه بالدلائل الشافية فهو من جهة كالواضح لايخفى على احد وهو من جهة كالغامض لايدركه احد وكذلك العقل ايضاً ظاهر بشواهده ومستور بذاته (فاما اصحاب الطبائع) فقالوا ان الطبيعة لاتفعل شيئاً لغير معنى ولا عما فيه تمام الشيئ في طبيعته وزعموا ان الحكمة تشهد بذلك فقيل لهم فمن اعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الاشياء بلا مجاوزة لها وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب فان اوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الافعال فقد اقروا بما انكروا لان هذه هي صفات الخالق وان انكروا ان يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف بان الفعل للخالق الحكيم وقد كان من القدماء طائفة انكروا العمد والتدبير في الاشياء وزعموا ان كونها بالعرض والاتفاق وكان مما احتجوا به هذه الايات التي تكون على غير مجرى العرف والعادة كالانسان يولد ناقصا اوزائداً اصبعاً او يكون المولود مشوهاً مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلاعلى ان كون الاشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض كيف ما اتفق ان يكون وقد كان ارسطاطاليس رد عليهم فقال ان الذي يكون بالعرض والاتفاق انما هو شيء يأتي في الفرط مرة لاعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها وليس بمنزلة الامور الطبيعية الجارية على شكل واحد جرياً دائماً متتابعاً .

وانت يامفضل ترى اصناف الحيوان ان يجرى اكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالانسان يولد وله يدان ورجلان وخمس اصابع كما عليه الجمهور من الناس فاما مايولد على خلاف ذلك فانه لعلة تكون في الرحم اوفى المادة التي ينشأ منها الجنين كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب فى صنعته فيعوق دون ذلك عائق في الاداة اوفي الالة التي يعمل فيها الشيء فقد يحدث مثل ذلك فى اولاد الحيوان للاسباب التي وصفنا فيأتى الولد زائداً اوناقصا اومشوها ويسلم اكثرها فيأتى سويا لاعلة فيه فكما ان الذي يحدث في بعض اعمال الاعراض لعلة فيه لايوجب عليها جميعا الاهمال وعدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض الافعال الطبيعية لعائق يدخل عليها لايوجب ان يكون جميعها بالعرض والاتفاق فقول من قال في الاشياء ان كونها بالعرض والاتفاق من قبيل ان شيئاً منها يأتى على خلاف الطبيعة بعرض يعرض له خطأ وخطل فان قالوا ولم صار مثل هذا يحدث فى الاشياء قيل لهم ليعلم انه ليس كون الاشياء باضطرار من الطبيعة ولايمكن ان يكون سواه كما قال قائلون بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم اذجعل الطبيعة تجرى اكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف وتزول احيانا عن ذلك لاعراض تعرض لها فيستدل بذلك على انها مصرفة مدبرة فقيرة الى ابداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها واتمام عملها تبارك الله احسن الخالقين يامفضل خذما آتيتك واحفظ مامنحتك وكن لربك من الشاكرين ولالائه من الحامدين ولاوليائه من

المطيعين فقد شرحت لك من الادلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد قليلا من كثير وجزءاً من كل فتدبره وفكر فيه واعتبر به فقلت بمعونتك يامولاي اقر على ذلك وابلغه انشاء الله فوضع يده على صدري فقال أحفظ بمشيئة الله ولاتنس انشاء الله فخررت مغشيا على فلما افقت قال كيف ترى نفسك يامفضل فقلت قد استغنيت بمعونة مولاي وتأييده عن الكتاب الذي كتبته وصار ذلك بين يدي كانما اقراه من كفى فلمولاى الحمد والشكر كما هو اهله ومستحقه فقال يامفضل فرغ قلبك واجمع اليك ذهنك وعقلك وطمانينتك فسالقى اليك من علم ملكوت السماوات والارض وما خلق الله بينهما وفيهما من عجايب خلقه واصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم الى سدرة المنتهى وسائر الخلق من الجن والانس الى الارض السابعة السفلى وماتحت الثرى حتى يكون ماوعيته جزءاً من اجزاء انصرف اذا شئت مصاحبا مكلوءا فانت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى ولاتسألن عما وعدتك حتى احدث لك منه ذكراً قال المفضل فانصرفت من عند مولاى بما لم ينصرف احد بمثله وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

كتاب

الأهليلجة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وبعد هذا كتاب مناظرة مولانا الصادق عليه السلام للهندي في معرفة الله جل جلاله بطرق غريبة عجيبة ضرورية تدهش الاذهان ويذعن بها بمجرد سماعها الانسان بادنى تفكر فى هذا البيان حتى اقر الهندى بالألهية والوحدانية ولعمرى ان هذا الكتاب من اشرف الكتب لأنه كتاب الاشرف فلنعم ماقيل ، كلام الملوك ملوك الكلام وفى البحار فى كتاب ، التوحيد حدثني محمد بن محرزة بن سعيد النحوي بدمشق قال حدثني محمد بن ابى مسهر بالرملة عن ابيه عن جده قال كتب المفضل بن عمر الجعفي الى ابى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يعلمه ان اقواماً ظهروا من اهل هذه الملة يجحدون الربوبية ويجادلون على ذلك ويسأله ان يرد عليهم قولهم ويحتج عليهم فيما ادعوا بحسب ما احتج به على غيرهم فكتب ابو عبد الله عليه السلام .

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد وفقنا الله واياك لطاعته واوجب لنا
بذلك رضوانه برحمته وصل كتابك تذكر فيه ماظهر فى ملتنا وذلك من
قوم من اهل الالحاد بالربوبية وقد كثرت عدتهم وأشتدت خصومتهم
وتسأل ان اضع الرد عليهم والنقض لما في ايديهم كتاباً على نحوماردت
على غيرهم من اهل البدع والاختلاف ونحن نحمد الله على النعم السابغة
والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصة والعامة فكان من نعمه العظام
وآلائه الجسام التي انعم بها تقريره قلوبهم بربوبيته واخذه ميثاقهم بمعرفته
وانزاله عليهم كتاباً فيه شفاء لما فى الصدور من امراض الخواطر
ومشتبهات الامور ولم يدع لهم ولا لشئ من خلقه حاجة الى من سواه
واستغنى عنهم وكان الله غنياً حميداً ولعمرى ما أتى الجهال من قبل ربهم
وانهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البينات في خلقهم وما
يعاينون من ملكوت السماوات والارض والصنع العجيب المتقن الدال على
الصانع ولكنهم قوم فتحوا على انفسهم ابواب المعاصي وسهلوا لها سبيل
الشهوات فغلبت الاهواء على قلوبهم واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم
وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين والعجب من مخلوق يزعم ان الله
يخفى على عباده وهو يرى أثر الصنع فى نفسه بتركيب يبهر عقله وتأليف
يبطل حجته ولعمرى لوتفكروا فى هذه الامور العظام لعاينوا من امر
التركيب البين ولطف التدبير الظاهر ووجود الاشياء مخلوقة بعد ان
لم تكن ثم تحولها من طبيعة الى طبيعة وصنيعة بعد صنيعة مايدلهم ذلك

على الصانع فانه لايخلو شيء منها من ان يكون فيه اثر تدبير وتركيب يدل على ان له خالقاً مدبراً وتاليف بتدبير يهدى الى واحد حكيم وقد وافاني كتابك ورسمت لك كتاباً كنت نازعت فيه بعض اهل الاديان من اهل الانكار وذلك انه كان يحضرني طبيب من بلاد الهند وكان لايزال ينازعني في رايه ويجادلني على ضلالته فبينا هو يوماً يدق اهليلجة ليخلطها دواءاً احتجت اليه من ادويته اذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادعائه ان الدنيا لم تزل ولاتزال شجرة تنبت واخرى تسقط ونفس تولد واخرى تتلف وزعم ان انتحالى المعرفة لله تعالى دعوى لابينة لى عليها ولاحجة لى فيها وان ذلك امر أخذه الآخر عن الاول والاصغر عن الاكبر وان الاشياء المختلفة والمؤتلفة والباطنة والظاهرة انما تعرف بالحواس الخمس نظر العين وسمع الاذن وشم الانف وذوق الفم ولمس الجوارح ثم قاد منطقه على الاصل الذي وضعه فقال لم يقع شيء من حواسي على خالق يؤدى الى قلبي انكاراً لله تعالى ثم قال اخبرني بم تحتج فى معرفة ربك الذي تصف قدرته وربوبيته وانما يعرف القلب الاشياء كلها بالدلالات الخمس التى وصفت لك قلت بالعقل الذي فى قلبي والدليل الذي احتج به في معرفته قال فانى يكون ماتقول وانت تعرف ان القلب لايعرف شيئاً بغير الحواس الخمس فهل عاينت ربك اوسمعت صوته باذن اوشممته بأنف اوذقته بفم اومسسته بيد فادى ذلك المعرفة الي قلبك ؟ قلت أرأيت اذ انكرت الله وجحدته لانك

زعمت انك لاتحسه بحواسك التي تعرف بها الاشياء واقررت أنا به فهل بد من ان يكون احدنا صادقاً والآخر كاذباً ؟ قال لا . قلت أرأيت ان كان القول قولك فهل يخاف على شيء مما اخوفك به من عقاب الله تعالى ؟ قال لا. قلت افرأيت ان كان كما اقول والحق بيدي الست قد اخذت فيما كنت احاذر من عقاب الخالق بالثقة وانك وقعت بجحودك وانكارك فى الهلكة ؟ قال بلى . قلت فأينا اولى بالحزم واقرب من النجاة ؟ قال أنت الا انك من امرك على ادعاء وشبهة وانا على يقين وثقة لاني لا ارى حواسي الخمس ادركته ولا تدركه حواسي فليس عندي بموجود . قلت انه لما عجزت حواسك عن ادراك الله تعالى انكرته ، وانا لما عجزت حواسي عن ادراك الله صدقت به . قال وكيف ذلك ؟ قلت لان كل شيء جرى فيه أثر تركيب لجسم اووقع عليه بصر للون فما ادركته الابصار ونالته الحواس فهو غير الله سبحانه لانه لايشبه الخلق ولايشبهه الخلق ، وأن هذا الخلق ينتقل بتغيير وزوال وكل شيء اشبه التغير والزوال فهو مثله وليس المخلوق كالخالق ولا المحدث كالمحدث . قال . ان هذا القول لمنكر مالم تدركه حواسى فتؤديه الى قلبي فلما اعتصم بهذه المقالة ولزم هذه الحجة قلت اما اذا أبيت الا ان تعتصم بالجهالة وتجعل المحاجزة حجة فقد دخلت في مثل ماعبت وامتثلت ما كرهت حيث قلت انى اخترت الدعوى لنفسى لان كل شيء لم تدركه حواسي عندي بلا شيء . قال وكيف ذلك ؟ قلت لانك نقمت علي أدعائي

ودخلت فيه فادعيت امراً لم تحط به خبراً ولم تقله علماً فكيف استجزت لنفسك الدعوى في انكارك الله ودفعك اعلام النبوة والحجة الواضحة وعبتها علي ؟. اخبرني هل احطت بالجهات كلها وبلغت منتهاها؟ قال لا. قلت فهل رقيت الى السماء التي ترى او انحدرت الى الارض السفلى فجلت في اقطارها اوهل خضت فى غمرات البحور واخترقت نواحي الهواء من فوق السماء اوتحتها الى الارض وما اسفل منها فوجدت ذلك خلواً من مدبر حكيم عالم بصير ؟ قال لا. قلت فما يدريك لعل الذي انكره قلبك هو في بعض مالم تدركه حواسك ولم يحط به علمك ؟ قال لاادري لعل فى بعض ماذكرت مدبراً وما ادري لعله ليس في شيء من ذلك شيء. قلت اما اذخرجت من حد الانكار الى منزلة الشك فاني ارجو ان تخرج الى المعرفة. قال فانما دخل على الشك لسؤالك اياى عما لم يحط به علمي ولكن من اين يدخل على اليقين بما لم تدركه حواسي ؟. قلت من قبل اهليلجتك هذه. قال ذاك اذاً اثبت للحجة لانها من آداب الطب الذي اذعن بمعرفته. قلت انما اردت ان آتيك من قبلها لانها اقرب الاشياء اليك ولو كان شيء اقرب اليك منها لأتيتك من قبله لان فى كل شيء أثر تركيب وحكمة وشاهداً يدل على الصنعة الدالة على من صنعها ولم تكن شيئاً ويهلكها حتى لاتكون شيئاً. قلت فاخبرني هل ترى هذه الاهليلجة ؟ قال نعم. قلت افترى غيب مافي جوفها ؟. قال لا. قلت افتشهد انها مشتملة على نواة ولاتراها ؟ قال

مايدريني لعل ليس فيها شيء . قلت افترى ان خلف هـــذا القشر من هذه الاهليلجة غائب لم تره من لحم اوذي لون ؟ قال ما ادري لعل ما ثم غير ذي لون ولا لحم . قلت افتقر ان هذه الاهليلجة التي يسميها الناس بالهند موجودة لأجتماع اهل الأختلاف من الأمم على ذكرها ؟. قال ما ادري لعل ما اجتمعوا عليه من ذلك باطل . قلت افتقر ان الاهليلجة فى ارض تنبت ؟ قال تلك الارض وهذه واحدة وقد رأيتها قلت افما تشهد بحضور هذه الاهليلجة على وجود ماغاب من اشباهها ؟ قال ما ادري لعله ليس في الدنيا اهليلجة غيرها . فلما اعتصم بالجهالة قلت اخبرني عن هذه الاهليلجة اتقر انها خرجت من شجرة اوتقول انها هكذا وجدت ؟ قال لا بل من شجرة خرجت . قلت فهل ادركت حواسك الخمس ماغاب عنك من تلك الشجرة ؟ قال لا . قلت فما اراك الا قد أقررت بوجود شجرة لم تدركها حواسك . قال أجل ولكني اقول ان الاهليلجة والاشياء المختلفة شيء لم يزل فهل عندك فى هذا شيء ترد به قولي؟ قلت نعم اخبرني عن هذه الاهليلجة هل كنت عاينت شجرتها وعرفتها قبل ان تكون هذه الاهليلجة فيها ؟ قال نعم . قلت فهل كنت تعاين هذه الاهليلجة ؟ قال لا . قلت افما تعلم انك كنت عاينت الشجرة وليس فيها الاهليلجة ثم عدت اليها فوجدت فيها الاهليلجة افما تعلم انه قد حدث فيها مالم تكن ؟ قال ما استطيع ان انكر ذلك ولكني اقول انها كانت فيها متفرقة . قلت فاخبرني هل رأيت تلك الاهليلجة

التي تنبت منها شجرة هذه الاهليلجة قبل ان تغرس ؟ قال نعم . قلت فهل يحتمل عقلك ان الشجرة التي يبلغ اصلها وعروقها وفروعها ولحاؤها وكل ثمرة جنيت وورقة سقطت ألف ألف رطل كانت كامنة في هذه الاهليلجة ؟ قال ما يحتمل هذا العقل ولا يقبله القلب . قلت اقررت انها حدثت فى الشجرة . قال نعم ولكني لا اعرف انها مصنوعة فهل تقدر ان تقررني بذلك ؟ قلت نعم . أرأيت انى ان اريتك تدبيراً اتقر أن له مدبراً وتصويراً ان له مصوراً ؟ . قال لابد من ذلك . قلت الست تعلم ان هذه الاهليلجة لحم ركب على عظم فوضع في جوف متصل بغصن مركب على ساق يقوم على أصل فيتقوى بعروق من تحتها على جرم متصل بعض ببعض ؟ قال بلى . قلت الست تعلم ان هذه الاهليلجة مصورة بتقدير وتخطيط وتأليف وتركيب وتفصيل متداخل بتأليف شيء في بعض شيء به طبق بعد طبق وجسم على جسم ولون مع لون ابيض فى صفرة ولين على شديد في طبايع متفرقة وطرائق مختلفة واجزاء مؤتلفة مع لحاء تسقيها وعروق يجرى فيها الماء وورق يسترها ويقيها من الشمس ان تحرقها ومن البرد ان يهلكها والريح ان تذبلها . قال أفليس لو كان الورق مطبقاً عليها كان خيراً لها ؟ قلت الله أحسن تقديراً لو كان كما تقول لم يصل اليها ريح تروحها ولابرد يشدّدها ولعفنت عند ذلك ولولم يصل اليها حر الشمس لما نضجت ولكن شمس مرة وريح مرة وبرد مرة قدر الله ذلك بقوة لطيفة ودبره بحكمة بالغة ، قال حسبي من التصوير ،

فسرلي التدبير الذي زعمت أنك ترنيه ، قلت أرأيت الاهليلجة قبل ان تعقد اذ هى فى قمعها ماء بغير نواة ولا لحم ولاقشر ولالون ولاطعم ولاشدة ؟ قال نعم . قلت أرأيت لولم يرفق الخالق ذلك الماء الضعيف الذي هو مثل الخردلة في القلة والذلة ولم يقوه بقوته ويصوره بحكمته ويقدره بقدرته هل كان ذلك الماء يزيد على ان يكون فى قمعه غير مجموع بجسم وقمع وتفصيل فان زاد زاد ماءاً متراكباً بعضه فوق بعض غير مصور ولامخطط ولامدبر بزيادة اجزاء ولاتأليف اطباق ؟ قال قد أريتني من تصوير شجرتها وتأليف خلقتها وحمل ثمرتها وزيادة اجزائها وتفصيل تركيبها اوضح الدلالات واظهر البينة على معرفة الصانع ولقد صدقت بان الاشياء مصنوعة ولكنني لاأدري لعل الاهليلجة والاشياء صنعت أنفسها . قلت اولست تعلم ان خالق الاشياء والاهليلجة حكيم عالم بما عاينت من قوة تدبيره ؟ قال بلى . قلت فهل ينبغي للذي هو كذلك ان يكون حدثاً ؟ قال لا . قلت أفلست قد رأيت الاهليلجة حين حدثت وعاينتها بعد ان لم تكن شيئاً ثم هلكت كأن لم تكن شيئاً ؟ قال بلى ، وانما اعطيتك ان الاهليلجة حدثت ولم اعطك ان الصانع لايكون حادثاً لايخلق نفسه . قلت ألم تعطني ان الحكيم الخالق لايكون حدثاً وزعمت ان الاهليلجة حدثت فقد اعطيتنى ان الاهليلجة مصنوعة فهو عز وجل صانع الاهليلجة ، وان رجعت الى ان تقول ان الاهليلجة صنعت نفسها ودبرت خلقها فما زدت ان اقررت بما انكرت ووصفت

صانعاً مدبراً أصبت صفته ولكنك لم تعرفه فسميته بغير أسمه قال كيف ذلك . قلت لانك اقررت بوجود حكيم لطيف مدبر فلما سألتك من هو قلت الاهليلجة قد اقررت بالله سبحانه ولكنك سميته بغير أسمه ولوعقلت وفكرت لعلمت ان الاهليلجة انقص قوة من ان تخلق نفسها واضعف حيلة من ان تدبر خلقها . قال هل عندك غير هذا ؟ قلت نعم اخبرني عن هذه الاهليلجة التي زعمت أنها صنعت نفسها ودبرت أمرها كيف صنعت نفسها صغيرة الخلقة صغيرة القدرة ناقصة القوة لاتمتنع ان تكسر وتعصر وتؤكل وكيف صنعت نفسها مفضولة مأكولة مرة قبيحة المنظر لابهاء لها ولاماء . قال لانها لم تقو الا على ماصنعت نفسها أولم تصنع الا ماهويت . قلت اذا أبيت الا التمادي في الباطل فاعلمني متى خلقت نفسها ودبرت خلقها قبل ان تكون او بعد ان كانت فان زعمت ان الاهليلجة خلقت نفسها بعد ما كانت فان هذا لمن أبين المحال كيف تكون موجودة مصنوعة ثم تصنع نفسها مرة اخرى فيصير كلامك الى أنها مصنوعة مرتين ولأن قلت انها خلقت نفسها ودبرت خلقها قبل ان تكون أن هذا من اوضح الباطل وأبين الكذب لانها قبل ان تكون ليس بشيء فكيف يخلق لاشيء شيئاً وكيف تعيب قولي ان شيئاً يصنع لاشيئاً ولا تعيب قولك ان لاشيء لايصنع لاشيئاً فانظر اي القولين اولى بالحق . قال قولك قلت فما يمنعك منه . قال قد قبلته واستبان لي حقه وصدقه بان الاشياء المختلفة والاهليلجة لم يصنعن أنفسهن ولم يدبرن خلقهن ولكنه تعرض

لي ان الشجرة هي التي صنعت الاهليلجة لانها خرجت منها . قلت فمن صنع الشجرة ، قال الاهليلجة الاخرى . قلت اجعل لكلامك غاية انتهى اليها فاما ان تقول هو الله سبحانه فيقبل منك ، فاما ان تقول الاهليلجة فنسألك . قال سل . قلت اخبرني عن الاهليلجة هل تنبت منها الشجرة الا بعد ماماتت وبليت وبادت ؟ قال لا . قلت ان الشجرة بقيت بعد هلاك الاهليلجة مأة سنة فمن كان يحميها ويزيد فيها ويدبر خلقها ويربيها وينبت ورقها مالك بد من ان تقول هو الذي خلقها ولأن قلت الاهليلجة وهي حية قبل أن تهلك وتبلى وتصير ترابا وقد ربت الشجرة وهي ميتة ان هذا القول مختلف . قال لا اقول ذلك قلت افتقر بان الله خلق الخلق ، أم قد بقي في نفسك شيء من ذلك قال أني من ذلك على حد وقوف ما اتخلص الى امر ينفذ لي فيه الامر . قلت اما اذا ابيت الا الجهالة وزعمت ان الاشياء لاتدرك الابالحواس فاني اخبرك انه ليس للحواس دلالة على الاشياء ولافيها معرفة الابالقلب فانه دليلها ومعرفها الاشياء التي تدعي ان القلب لايعرفها الابها . فقال اما اذ نطقت بهذا فما اقبل منك الا بالتخليص والتفحيص منه بايضاح وبيان وحجة وبرهان قلت فاول ما ابدأ به انك تعلم انه ربما ذهب الحواس اوبعضها ودبر القلب الاشياء التي فيها المضرة والمنفعة من الامور العلانية والخفية فامر بها ونهى ونفذ فيها أمره وصح فيها قضاؤه قال انك تقول في هذا قولا يشبه الحق ولكنى أحب ان توضحه لي غير هذا الايضاح . قلت ألست

تعلم ان القلب يبقى بعد ذهاب الحواس قال نعم ولكن يبقى بغير دليل على الاشياء التي تدل عليها الحواس . قلت أفلست تعلم ان الطفل تضمه امه مضغة ليس تدله الحواس على شيء يسمع ولا يبصر ولا يذاق ولا يلمس ولا يشم قال بلى قلت فاية الحواس دلتـه على طلب اللبن اذا جاع والضحك بعد البكاء اذا روى من اللبن وأى حواس سباع الطير ولاقط الحب منها دلها على ان تلقى بين افراخها اللحم والحب فتهوى سباعها الى اللحم والآخرون الى الحب وأخبرني عن فراخ طير الماء الست تعلم ان فراخ طير الماء اذا طرح فيه سبحت واذا طرحت فيه فراخ طير البر غرقت والحواس واحدة فكيف انتفع بالحواس طير الماء واعانته على السباحة ولم تنتفع طير البر فى الماء بحواسها ؟ وما بال طير البر اذا غمستها فى الماء ساعة ماتت ، وأذا امسكت طير الماء عن الماء ساعة ماتت ، فلا ارى الحواس فى هذا الا منكسراً عليك ، ولا ينبغى ذلك ان يكون الا من مدبر حكيم جعل للماء خلقاً وللبر خلقاً ، أم اخبرنى مابال الذرة التي لا تعاين الماء قط تطرح فى الماء فتسبح وتلقي الانسان ابن خمسين سنة من اقوى الرجال واعقلهم لم يتعلم السباحة فيغرق ، كيف لم يدله عقله ولبه وتجاربه وبصره بالأشياء مع اجتماع حواسه وصحتها ان يدرك ذلك بحواسه كما ادركته الذرة ان كان ذلك انما يدرك بالحواس افليس ينبغى لك ان تعلم ان القلب الذي هو معدن العقل في الصبي الذي وصفت وغيره مما سمعت من الحيوان هو الذي يهيج الصبي الى طلب الرضاع

والطير اللاقط الى لقط الحب والسباع على ابتلاع اللحم ؟ قال لست أجد القلب يعلم شيئاً الا بالحواس . قلت اما اذ ابيت الا النزوع الى الحواس فانا نقبل نزوعك اليها بعد رفضك لها ونجيبك في الحواس حتى يتقرر عندك انها لاتعرف من سائر الاشياء الا الظاهر مماهو دون الرب الا على سبحانه وتعالى ، فاما مايخفى ولايظهر فلست تعرفه وذلك ان خالق الحواس جعل لها قلباً احتج به على العباد وجعل للحواس الدلالات على الظاهر الذي يستدل بها على الخالق سبحانه فنظرت العين الى خلق متصل بعضه ببعض فدلت القلب على ماعاينت وتفكر القلب حين دلته العين على ماعاينت من ملكوت السماوات وارتفاعها في الهواء بغير عمد يري ولادعائم تمسكها لاتؤخو مرة فتنكشط ولاتقدم اخرى فتزول ولاتهبط مرة فتدنو ولاترتفع اخرى فتنأى ولاتتغير لطول الأمد ولاتخلق لاختلاف الليالي والأيام ولاتتداعى منها ناحية ولاينهار منها طرف مع ماعاينت من النجوم الجارية السبعة المختلفة بمسيرها لدوران الفلك وتنقلها في البروج يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة منها السريع ومنها البطيئ ومنها المعتدل السير ، ثم رجوعها واستقامتها واخذها عرضاً وطولا وخنوسها عند الشمس وهي مشرقة وظهورها اذا غربت وجري الشمس والقمر فى البروج دائبين لايتغيران في أزمنتهما واوقاتهما يعرف ذلك من يعرف بحساب موضوع وأمر معلوم بحكمة يعرف ذوو الالباب انها ليست من حكمة الانس ولاتفتيش الاوهام ولاتقليب التفكر فعرف

القلب حين دلته العين على ماعاينت ان لذلك الخلق والتدبير والأمر العجيب صانعاً يمسك السماء المنطبقة ان تهوي الى الارض وان الذي جعل الشمس والقمر والنجوم فيها خالق السماء ، ثم نظرت العين الى ما استقلها من الارض فدلت القلب على ماعاينت فعرف القلب بعقله ان ممسك الارض الممهدة ان تزول او تهوى في الهواء وهو يرى الريشة ترمى فيها فتسقط مكانها وهي فى الخفة على ماهى عليه هو الذي يمسك السماء التي فوقها وانه لولا ذلك لخسفت بما عليها من ثقلها وثقل الجبال والأنام والاشجار والبحور والرمال فعرف القلب بدلالة العين ان مدبر الارض هو مدبر السماء ، ثم سمعت الاذن صوت الرياح الشديدة العاصفة واللينة الطيبة وعاينت العين ماتقلع من عظام الشجر وتهدم من وثيق البنيان وتسفى من ثقال الرمال تخلى منها ناحية وتصبها فى اخرى بلا سائق تبصره العين ولا تسمعه الاذن ولا يدرك بشيء من الحواس ، وليست مجسدة تلمس ولا محدودة تعاين فلم تزد العين والاذن وسائر الحواس على ان دلت القلب ان لها صانعاً وذلك ان القلب يفكر بالعقل الذى فيه فيعرف ان الريح لم تتحرك من تلقائها وانها لو كانت هى المتحركة لم تكفف عن التحرك ولم تهدم طائفة وتعفى اخرى ولم تقلع شجرة وتدع أخرى الى جنبها ولم تصب ارضاً وتنصرف عن اخرى فلما تفكر القلب في امر الريح علم ان لها محركاً هو الذي يسوقها حيث يشاء ويسكنها اذا شاء ويصيب بها من يشاء ويصرفها عمن يشاء فلما نظر القلب الى ذلك وجدها

متصلة بالسماء ومافيها من الآيات فعرف ان المدبر القادر على ان يمسك الارض والسماء هو خالق الريح ومحركها اذا شاء ومسكها كيف شاء ومسلطها على من يشاء ، وكذلك دلت العين والاذن القلب على هذه الزلزلة وعرف ذلك بغيرهما من حواسه حين حركته فلما دل الحواس على تحريك هذا الخلق العظيم من الارض في غلظها وثقلها وطولها وعرضها وماعليها من ثقل الجبال والمياه والانام وغير ذلك وانما يتحرك في ناحية ولم يتحرك في اخرى وهى ملتحمة جسداً وحداً وخلقاً متصلا بلا فصل ولاوصل تهدم ناحية وتخسف بها وتسلم اخرى فعندها عرف القلب ان محرك ماحرك منها هو ممسك ماامسك منها وهو محرك الريح وممسكها وهو مدبر السماء والارض وما بينهما وان الارض لو كانت هى المزلزلة لنفسها لما تزلزلت ولما تحركت ولكنه الذي دبرها وخلقها حرك منها ماشاء ، ثم نظرت العين الى العظيم من الآيات من السحاب المسخر بين السماء والارض بمنزلة الدخان لاجسدله يلمس بشئ من الارض والجبال يتخلل الشجرة فلا يحرك منها شيئاً لايهصر منها غصناً ولايعلق منها بشئ يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته ويحتمل من من ثقل الماء وكثرته مالا يقدر على صفته مع مافيه من الصواعق الصادعة والبروق اللامعة والرعد والثلج والبرد والجليد مالا تبلغ الاوهام صفته ولاتهتدى القلوب الى كنه عجائبه فيخرج مستقلا فى الهواء يجتمع بعد تفرقه ويلتحم بعد تزايله تفرقه الرياح من الجهات كلها الى حيث تسوقه باذن

الله تعالى وبها يسفل مرة ويعلو اخرى ممسك بمافيه من الماء الكثير الذي اذا ازجاه صارت منه البحور يمر على الاراضي الكثيرة والبلدان المتنائية لاتنقص منه نقطة حتى ينتهي الى مايحصى من الفراسخ فيرسل مافيه قطرة بعد قطرة وسيلا بعد سيل متتابع على رسله حتى ينقع البرك وتملى الفجاج وتمتلى الاودية بالسيول كامثال الجبال غاصة بسيولها مصمخة الآذان لدويها وهديرها فتحى بها الارض الميتة فتصبح مخضرة بعدان كانت مغبرة ومعشبة بعد ان كانت مجدبة قد كسيت ألوانا من نبات عشب ناظرة زاهرة مزينة معاشاً للناس والانعام فاذا افرغ الغمام ماءه واقلع وتفرق وذهب حيث لايعاين ولايدري اين تواري فأدت العين ذلك الى القلب فعرف القلب ان ذلك السحاب لو كان بغير مدبر وكان ما وصفت من تلقاء نفسه ما أحتمل نصف ذلك من الثقل من الماء وان كان هو الذي يرسله لما احتمله الفي فرسخ اوا كثر ولأرسله فيما هو أقرب من ذلك ولما ارسله قطرة بعد قطرة بل كان يرسله ارسالا فكان يهدم البنيان ويفسد النبات ولما جاز الى بلد وترك آخر دونه فعرف القلب بالاعلام المنيرة الواضحة ان مدبر الامور واحد وانه لو كان اثنين او ثلاثة لكان فى طول هذه الازمنة والأبد والدهر اختلاف فى التدبير وتناقض في الامور ولتأخر بعض وتقدم بعض ولكان تسفل بعض ماقد علا ولعلا بعض ماقد سفل ولطلع شئ وغاب فتأخر عن وقته اوتقدم ماقبله فعرف القلب بذلك أن مدبر الاشياء وماغاب منها وماظهر هو الله الاول خالق السماء

وممسكها وفارش الارض وداحيها وصانع ما بين ذلك مما عددنا وغير ذلك مما لم يحص وكذلك عاينت العين اختلاف الليل والنهار دائبين جديدين لا يبليان فى طول كرهما ولا يتغيران لكثرة اختلافهما ولا تنقصان عن حالهما النهار في نوره وضيائه، والليل في سواده وظلمته يلج احدهما فى الآخر حتى ينتهى كل واحد منهما الى غاية محدودة معروفة في الطول والقصر على مرتبة واحدة ومجرى واحد مع سكون من يسكن فى الليل وانتشار من ينتشر في النهار، وانتشار من ينتشر في الليل وسكون من يسكن في النهار ثم الحر والبرد وحلول احدهما بعقب الآخر حتى تكون الحر برداً والبرد حراً فى وقته وأبانه فكل هذا مما يستدل به القلب على الرب سبحانه، فعرف القلب بعقله ان من دبر هذه الاشياء هو الواحد العزيز الحكيم الذي لم يزل ولا يزال وانه لو كان فى السماوات والارضين آلهة معه سبحانه لذهب كل أله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ولأفسد كل واحد منهم على صاحبه، وكذلك سمعت الاذن ما انزل المدبر من الكتب تصديقاً لما ادركته القلوب بعقولها بتوفيق الله أياها وعونه لها اذا ارادت ما عنده انه الاول لا شبه له ولا مثل له ولا ضد له ولا تحيط به العيون ولا تدركه الاوهام كيف هو لانه لا تأليف له وانما الكيف للمكيف المخلوق المحدود المحدث غير انا نوقن انه معروف بخلقه موجود بصنعه فتبارك الله وتعالى اسمه لا شريك له فعرف القلب بعقله انه لو كان معه شريك كان ضعيفاً ناقصاً ولو كان ناقصاً ما خلق الانسان ولا اختلف

التدبير وانتقضت الامور مع التقصير الذي يوصف به الارباب المتفردون والشركاء المتعاونون . فقال فقد اتيتني من ابواب لطيفة بمالم ياتني به احد غيرك الا انه لا يمنعني من ترك ما في يدي الا الايضاح والحجة القوية بما وصفت لي وفسرت . قلت اما اذا حجبت عن الجواب واختلف منك المقال فسيأتيك من الدلالة من قبل نفسك خاصة مايستبين لك ان الحواس لا تعرف شيئاً الا بالقلب فهل رأيت في المنام انك تاكل وتشرب حتى وصلت لذة ذلك الى قلبك ؟ قال نعم . قلت فهل رأيت انك تضحك وتبكى وتجول فى البلدان التي لم ترها والتي قد رأيتها حتى تعلم معالم ما رأيت منها ؟ قال نعم مالا احصى . قلت هل رأيت احداً من اقاربك من اخ او اب اوذى رحم قدمات قبل ذلك حتى تعلمه وتعرفه كمعرفتك اياه قبل ان يموت ؟ قال اكثر من الكثير . قلت فاخبرني اى حواسك ادرك هذه الاشياء فى منامك حتى دلت قلبك على معاينة الموتى وكلامهم واكل طعامهم والجولان في البلدان والضحك والبكاء وغير ذلك ؟ قال ما اقدر ان اقول لك اي حواسي ادرك ذلك اوشيئاً منه وكيف تدرك وهى بمنزلة الميت لا تسمع ولا تبصر ؟ قلت فاخبرني حيث استيقظت الست قد ذكرت الذي رأيت فى منامك تحفظه وتقصه بعد يقظتك على اخوانك لاتنسى منه حرفاً ؟ قال انه كما تقول وربما رأيت الشئ فى منامي ثم لا امسي حتى اراه فى يقظتي كما رأيته في منامى . قلت فاخبرني اي حواسك قررت علم ذلك في قلبك حتى ذكرته بعد ما استيقظت ؟ قال

ان هذا الامر مادخلت فيه الحواس . قلت افليس ينبغي لك ان تعلم حيث بطلت الحواس فى هذا ؟ ان الذي عاين تلك الاشياء وحفظها فى منامك قلبك الذي جعل الله فيه العقل الذي احتج به على العباد . قال ان الذي رأيت في منامى ليس بشئ انما هو بمنزلة السراب الذي يعاينه صاحبه وينظر اليه ولا يشك فيه انه ماء فاذا انتهى الى مكانه لم يجده شيئاً فما رأيت فى منامي فبهذه المنزلة . قلت كيف شبهت السراب بما رأيت فى منامك من أكلك الطعام الحلو والحامض وما رأيت من الفرح والحزن قال لان السراب حيث انتهيت الى موضعه صار لاشئ وكذلك صار ما رأيت فى منامي حين انتبهت . قلت فاخبرنى ان اتيتك بامر وجدت لذته في منامك وخفق لذلك قلبك الست تعلم ان الامر على ماوصفت لك ؟ قال بلى قلت فاخبرنى هل احتلمت قط حتى قضيت في امرأة نهمتك عرفتها ام لم تعرفها قال بلى مالا احصيه . قلت الست وجدت لذلك لذة على قدر لذتك في يقضتك فتنتبه وقد انزلت الشهوة حتى تخرج منك بقدر ماتخرج منك في اليقظة ؟ هذا كسر لحجتك في السراب . قال مايرى المحتلم في منامه شيئاً الا ماكانت حواسه دلت عليه في اليقظة . قلت مازدت على ان قويت مقالتي وزعمت ان القلب يعقل الاشياء ويعرفها بعد ذهاب الحواس وموتها فكيف انكرت ان القلب يعرف الاشياء وهو يقظان مجتمعة له حواسه وما الذي عرفه اياه بعد موت الحواس وهو لايسمع ولايبصر ؟ ولكنت حقيقاً ان لاتنكر له المعرفة وحواسه حية مجتمعة

اذا اقررت انه ينظر الى الامرأة بعد ذهاب حواسه حتى نكحها واصاب لذته منها فينبغى لمن يعقل حيث وصف القلب بما وصفه به من معرفته بالاشياء والحواس ذاهبة ان يعرف ان القلب مدبر الحواس ومالكها ورائسها والقاضي عليها فأنه ماجهل الانسان من شيء كما يجهل أن اليد لاتقدر على العين ان تقلعها ولا على اللسان ان تقطعه وانه ليس يقدر شيء من الحواس ان يفعل بشيء من الجسد شيئاً بغير اذن القلب ودلالته وتدبيره لان الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبراً للجسد وبه يسمع وبه يبصر وهو القاضي والأمير عليه لايتقدم الجسدأن هو تاخر ولايتاخرأن هو تقدم وبه سمعت الحواس وأبصرت ان أمرها أتمرت وان نهاها انتهت وبه ينزل الفرح والحزن وبه ينزل الألم أن فسد شيء من الحواس بقى على حاله وان فسد القلب ذهب جميعاً حتى لايسمع ولايبصر . قال لقد كنت اضنك لاتتخلص من هذه المسألة وقد جئت بشيء لا اقدر على رده . قلت وانا اعطيتك تصديق ما انبأتك به وما رأيت في منامك في مجلسك الساعة . قال افعل فانى قد تحيرت في هذه المسألة . قلت اخبرنى هل تحدث نفسك من تجارة اوصناعة اوبناء اوتقدير شيء وتأمل به اذا احكمت تقديره فى ضنك ؟ قال نعم قلت فهل اشركت قلبك فى ذلك الفكر شيئاً من حواسك قال لا . قلت افلاتعلم ان الذي اخبرك به قلبك حق ؟ قال اليقين هو فزدنى مايذهب الشك عني وتزيل الشبهة من قلبي . قلت اخبرنى هل يعلم أهل بلادك علم النجوم ؟

قال انك لغافل عن علم اهل بلادي بالنجوم فليس احد اعلم بذلك منهم
قلت أخبرني كيف وقع علمهم بالنجوم وهي مما لا يدرك بالحواس ولا بالفكر
قال حساب وضعته الحكماء وتوارثه الناس فاذا سألت الرجل منهم عن
شيء قاس الشمس ونظر في منازل الشمس والقمر وما للطالع من النحوس
وما للباطن من السعود ثم يحسب ولا يخطىء ويحمل اليه المولود فيحسب
له ويخبر بكل علامة فيه وما هو مصيبه الى يوم يموت، قلت كيف دخل
الحساب في مواليد الناس ؟ قال لان جميع الناس انما يولدون بهذه النجوم
ولولا ذلك لم يستقم هذا الحساب فمن ثم لا يخطىء اذ اعلم الساعة واليوم
والشهر والسنة التي يولد فيها المولود . قلت لقد وصفت علماً عجيباً ليس
في علم الدنيا ادق منه ولا اعظم ان كان حقاً كما ذكرت يعرف به المولود
الصبي ومافيه من العلامات ومنتهى اجله وما يصيبه في حياته اوليس هذا
حساب يولد به جميع اهل الدنيا من كان من الناس ؟ قال لا اشك فيه
قلت فتعال ننظر بعقولنا كيف علم الناس هذا العلم وهل يستقيم ان يكون
لبعض الناس اذا كان جميع الناس يولدون بهذه النجوم وكيف عرفها
بسعودها ونحوسها وساعاتها واوقاتها ودقائقها ودرجاتها وبطيئها وسريعها
ومواضعها من السماء ومواضعها تحت الارض ودلالتها على غامض هذه
الاشياء التي وصفت في السماء وما تحت الارض فقد عرفت ان بعض هذه
البروج في السماء وبعضها تحت الارض وكذلك النجوم السبعة منها تحت
الارض ومنها في السماء فما يقبل عقلي ان مخلوقاً من اهل الارض قدر

على هذا .قال وما انكرت من هذا ؟ قلت انك زعمت ان جميع اهل الارض انما يتوالدون بهذه النجوم فأرى الحكيم الذي وضع هذا الحساب بزعمك من بعض اهل الدنيا ولاشك ان كنت صادقاً انه ولد ببعض هذه النجوم والساعات والحساب الذي كان قبله الا ان تزعم ان ذلك الحكيم لم يولد بهذه النجوم كما ولد سائر الناس قال وهل هذا الحكيم الا كسائر الناس قلت افليس ينبغي ان يدلك عقلك على انها قد خلقت قبل هذا الحكيم الذي زعمت انه وضع هذا الحساب وقد زعمت أنه ولد ببعض هذه النجوم قال بلى . قلت فكيف اهتدى لوضع هذه النجوم وهل هذا العلم الا من معلم كان قبلها وهو الذي اسس هذا الحساب الذي زعمت انه اساس المولود والأساس اقدم من المولود والحكيم الذي زعمت انه وضع هذا انما يتبع أمر معلم هو اقدم منه وهو الذي خلقه مولوداً ببعض هذه النجوم ، وهو الذي اسس هذه البروج التي ولد بها غيره من الناس ، فواضع الاساس ينبغي ان يكون اقدم منها . هب ان هذا الحكيم عمر منذ كانت الدنيا عشرة اضعاف هل كان نظره فى هذه النجوم الا كنظرك اليها معلقة في السماء اوتراه كان قادراً على الدنو منها وهى فى السماء حتى يعرف منازلها ومجاريها ونحوسها وسعودها ودقائقها وبأيتها تكسف الشمس والقمر وبأيتها يولد كل مولود وايها السعد وايها النحس وايها البطيء وايها السريع ؟ ثم يعرف بعد ذلك سعود ساعات النهار ونحوسها وايها السعد وايها النحس وكم ساعة يمكث كل نجم منها تحت الارض وفى اي ساعة تغيب واي

ساعة تطلع وكم ساعة تمكث طالعاً وفي اي ساعةٍ تغيب وكم إستقام لرجل حكيم كما زعمت من اهل الدنيا ان يعلم علم السماء مما لاتدرك بالحواس ولايقع عليه الفكر ولايخطر على الاوهام وكيف اهتدى ان يقيس الشمس حتى يعرف فى اى برج وفي اى برج القمر وفي اى برج من السماء هذه السبعة السعود والنحوس وما الطالع منها وما الباطن وهي معلقة فى السماء وهو من اهل الارض لايراها اذا توارت بضوء الشمس الا ان تزعم ان هذا الحكيم الذي وضع هذا العلم قدرقى الى السماء وانا اشهدان هذا العالم لم يقدر على هذا العلم الاعن فى السماء لان هذا ليس من علم اهل الارض قال مابلغني ان احداً من اهل الارض رقى في السماء . قلت فلعل هذا الحكيم فعل ذلك ولم يبلغك . قال ولوبلغني ما كنت مصدقاً . قلت فانا اقول قولك هبه رقى الى السماء هل كان له بد من ان يجرى مع كل برج من هذه البروج ونجم من هــذه النجوم من حيث يطلع الى حيث يغيب ثم يعود الى الآخر حتى يفعل مثل ذلك حتى يأتى على آخرها فان منها مايقطع السماء في ثلاثين سنة ومنها مايقطع دون ذلك . وهل كان له بد من ان يجول فى اقطار السماء حتى يعرف مطالع السعود منها والنحوس والبطيء والسريع حتى يحصي ذلك ، اوهبه قدر على ذلك حتى فرغ مما في السماء هل كان يستقيم له حساب مافى السماء حتى يحكم حساب مافي الارض وماتحتها وان يعرف ذلك مثل ماقد عاين في السماء لان مجاريها تحت الارض على غير مجاريها فى السماء فلم يكن يقدر على احكام

حسابها ودقايقها وساعاتها الا بمعرفة ماغاب عنه تحت الارض منها لانه ينبغي ان يعرف اي ساعة من الليل يطلع طالعها وكم يمكث تحت الارض واي ساعة من النهار يغيب غائبها لانه لا يعاينها ولا ماطلع منها ولا ماغاب ولابد من ان يكون العالم بها واحداً والا لم ينتفع بالحساب الا ان تزعم ان ذلك الحكيم قد دخل في ظلمات الارضين والبحار فسار مع النجوم والشمس والقمر فى مجاريها على قدر ماسار في السماء حتى علم الغيب منها وعلم ماتحت الارض على قدر ماعاين منها في السماء قال وهل رأيتني اجبتك الى ان احداً من اهل الارض رقى الى السماء وقدر على ذلك حتى اقول انه دخل في ظلمات الارضين والبحور ؟ قلت فكيف وقع هذا العلم الذي زعمت ان الحكماء من الناس وضعوه وأن الناس كلهم مولودون به ؟ وكيف عرفوا ذلك الحساب وهو أقدم منهم ؟ قال ما اجد يستقيم أن اقول ان احداً من اهل الارض وضع علم هذه النجوم المعلقة في السماء . قلت فلا بد لك ان تقول انما علمه حكيم عليم بامر السماء والارض ومدبرها . قال ان قلت هذا فقد أقررت لك بالاهك الذي تزعم انه في السماء . قلت اما انت فقد اعطيتني ان حساب هذه النجوم حق وان جميع الناس ولدوا بها قال الشك في غير هذا قلت وكذلك أعطيتني ان أحداً من أهل الارض لم يقدر على ان يغيب مع هذه النجوم والشمس والقمر في المغرب حتى يعرف مجاريها ويطلع معها الى المشرق قال الطلوع الى السماء دون هذا . قلت فلا اراك تجد بداً من ان تزعم

ان المعلم لهذا العلم من السماء قال لأن قلت ان ليس لهذا الحساب معلم لقد قلت اذاً غير الحق ولأن زعمت ان احداً من اهل الارض علم مافي السماء وماتحت الارض لقد ابطلت لأن اهل الارض لايقدرون على علم ما وصفت الك من حالَ هذه النجوم والبروج بالمعاينة والدنو منها فلا يقدرون عليه لان علم اهل الدنيا لا يكون عندنا الا بالحواس وما يدريك علم هذه النجوم التي وصفت بالحواس لانها معلقة في السماء وما زادت الحواس على النظر اليها حيث تطلع وحيث تغيب ، فاما حسابها ودقائقها ونحوسها وسعودها وبطيئها وسريعها وخنوسها ورجوعها فانى تدرك بالحواس او يهتدي اليها بالقياس قلت فاخبرني لو كنت متعلماً مستوصفاً لهذا الحساب من اهل الارض أحب اليك ان تستوصفه وتتعلمه أم من اهل السماء ؟ قال من اهل السماء اذ كانت النجوم معلقة فيها حيث لا يعلمها اهل الارض قلت فافهم وادق النظر وناصح نفسك ألست تعلم انه حيث كان جميع اهل الدنيا انما يولدون بهذه النجوم على ماوصفت في النحوس والسعود أنهن كن قبل الناس . قال ما امتنع ان اقول هذا . قلت افليس ينبغي لك ان تعلم ان قولك ان الناس لم يزالوا ولا يزالون قد انكر عليك حيث كانت النجوم قبل الناس فالناس حدث بعدها ولئن كانت النجوم خلقت قبل الناس ماتجد بداً من ان تزعم ان الارض خلقت قبلهم . قال ولم تزعم ان الارض خلقت قبلهم ؟ قلت الست تعلم أنها لو لم تكن الارض جعله الله لخلقه فراشاً ومهاداً ما استقام الناس ولا غيرهم من الانام

ولاقدروا ان يكونوا في الهواء الا ان يكونوا لهم اجنحة . قال وماذا يغني عنهم الأجنحة اذا لم تكن لهم معيشة قلت ففي شك أنت من ان الناس حدث بعد الارض والبروج ؟ قال لا ولكن على اليقين من ذلك .قلت أتيك ايضاً بما تبصره . قال ذلك انفى للشك عني . قلت الست تعلم ان الذي تدور عليه هذه النجوم والشمس والقمر هـذا الفلك ؟ قال بلى . قلت افليس قد كان اساساً لهذه النجوم ؟ قال بلى . قلت فما ارى هـذه النجوم التي زعمت انها مواليد الناس الا وقـد وضعت بعد هذا الفلك لأنه به تدور البروج وتسفل مرة وتصعد اخرى . قال قد جئت بامر واضح لايشكل على ذي عقل ان الفلك الذي تدور به النجوم هو اساسها الذي وضع لها لأنها انما جرت به قلت اقررت ان خالق النجوم التي يولد بها الناس سعودهم ونحوسهم هو خالق الارض لأنه لولم يكن خلقها لم يكن ذرء . قال ماأجد بداً من اجابتك الى ذلك . قلت افليس ينبغي لك ان يدلك عقلك على انه لايقدر على خلق السماء الا الذي خلق الارض والذرء والشمس والقمر والنجوم وانه لولا السماء ومافيها لهلك ذرء الارض . قال أشهد ان الخالق واحـد من غير شك لأنك قد أتيتني بحجة ظهرت لعقلي وانقطعت بها حجتي وما ارى يستقيم ان واضع هذا الحساب ومعلم هذه النجوم واحد من اهل الارض لانها في السماء ولا مع ذلك يعرف ماتحت الارض منها الامعلم مافي السماء منها ولكن لست ادرى كيف سقط اهل الارض على هذا العلم الذي هو

فى السماء حتى اتفق حسابهم على مارأيت من الدقة والصواب فانى لولم اعرف من هـذا الحساب ما اعرفه لأنـكرته ولأخبرتك أنه باطل فى بدئ الأمر فـكان اهون علي . قلت فاعطني موثقاً أن انا اعطيتك من قبل هذه الاهليلجة التي في يدك وماتدعي من الطب الذي هو صناعتك وصناعة آبائك حتى يتصل الى الاهليلجة وما يشبهها من الأدوية بالسماء لتذعنن بالحق ولتنصفن من نفسك؟ قال ذلك لك . قلت هل كان الناس على حال وهم لايعرفون الطب ومنافعه من هـذه الأهليلجة واشباهها قال نعم . قلت فمن اين اهتدوا له ؟ قال بالتجربة وطول المقايسة . قلت فـكيف خطر على اوهامهم حتى هموا بتجربته وكيف ظنوا انه مصلحة للاجساد وهم لايرون فيه الا المضرة ؟ او كيف عزموا على طلب مالا يعرفون مما لاتدلهم عليه الحواس ؟ قال بالتجارب . قلت اخبرني عن واضع هذا الطب وواصف هذه العقاقير المتفرقة بين المشرق والمغرب هل كان بد من ان يـكون الذي وضع ذلك ودل على هـذه العقاقير رجل حـكيم من بعض اهل هذه البلدان ؟ قال لابد ان يكون كذلك وان يكون رجلا حكيما وضع ذلك وجمع عليه الحكماء فنظروا فى ذلك وفكروا فيه بعقولهم . قلت كأنك تريد الأنصاف من نفسك والوفاء بما اعطيت من ميثاقك فاعلمنى كيف عرف الحـكيم ذلك ؟ وهبه قدعرف بما في بلاده من الدواء والزعفران الذي بارض فارس اتراه اتبع جميع نبات الارض فذاقه شجرة شجرة حتى ظهر على جميع ذلك ؟ وهل يدلك

نقلك على ان رجالا حكماء قدروا على ان يتبعوا جميع بلاد فارس ونباتها شجرة شجرة حتى عرفوا ذلك بحواسهم وظهروا على تلك الشجرة التي يكون فيها خلط بعض هذه الادوية التي لم تدرك حواسهم شيئاً منها؟ وهبه اصاب تلك الشجرة بعد بحثه عنها وتتبعه جميع شجرة فارس ونباتها كيف عرف انه لايكون دواء حتى يضم اليه الاهليلج من الهند والمصطكي من الروم والمسك من التبت والدارصيني من الصين وخصى بيداستر من الترك والافيون من مصر والصبر من اليمن والبورق من الارمنية وغير ذلك من اخلاط الادوية التى تكون فى اطراف الارض وكيف عرف ان بعض تلك الادوية وهي عقاقير مختلفة يكون المنفعة باجتماعها ولاتكون المنفعة فى الحالات بغير اجتماع ام كيف اهتدى لمنابت هذه الادوية وهى الوان مختلفة وعقاقير متباينة فى بلدان متفرقه فمنها عروق ومنها لحاء ومنها ورق ومنا ثمر ومنها عصير ومنها مايع ومنها صمغ ومنها دهن ومنها ما يعصر ويطبخ ومنها ما يعصر ولايطبخ مما سمى بلغات شتى لايصلح بعضها الا ببعض ولايصير دواء الا باجتماعها ومنها مرابر السباع والدواب البرية والبحرية واهل هذه البلدان مع ذلك متعادون مختلفون متفرقون باللغات متغالبون بالمناصبة ومتحاربون بالقتل والسبى افترى ذلك الحكيم تتبع هذه البلدان حتى عرف كل لغة وطاف كل وجه وتتبع هذه العقاقير مشرقاً ومغربا آمنا صحيحاً لايخاف ولايمرض سليماً لايعطب حياً لايموت هادياً لايضل قاصداً لايجور حافظاً لاينسى نشيطاً لايمل حتى عرف وقت

ازمنتها ومواضع منابتها مع اختلاطها واختلاف صفاتها وتباين الوانها وتفرق أسمائها ثم وضع مثالها على شبهها وصفتها ثم وصف كل شجرة بنباتها وورقها وثمرها وريحها وطعمها ام هل كان لهذا الحكيم بد من ان يتبع جميع اشجار الدنيا وبقولها وعروقها شجرة شجرة وورقة ورقة شيئاً شيئاً فهبه وقع على الشجرة التي اراد فكيف دلته حواسه على انها تصلح لدواء والشجر مختلف منه الحلو والحامض والمر والمالح وان قلت يستوصف في هذه البلدان ويعمل بالسؤال فانى يسأل عما لم يعاين ولم يدركه بحواسه ام كيف يهتدى الى من يسأله عن تلك الشجرة وهو يكلمه بغير لسانه وبغير لغته والاشياء كثيرة فهبه فعل كيف عرف منافعها ومضارها وتسكينها وتهييجها وباردها وحارها ولينها ويابسها فلئن قلت بالظن ان ذلك مما لا يدرك ولا يعرف بالطبايع والحواس ولأن قلت بالتجربة والشرب لقد كان ينبغي له ان يموت في اول ماشرب وجرب تلك الادوية بجهالته بها وقلة معرفته بمنافعها ومضارها واكثرها السم القاتل ولأن قلت بل طاف في كل بلد واقام في كل امة يتعلم لغاتهم ويجرب بهم ادويتهم تقتل الأول فالأول منهم ما كان لتبلغ معرفة الدواء الواحد الا بعد قتل قوم كثير فما كان اهل تلك البلدان الذين قتل منهم من قتل بتجربته بالذين ينقادون له بالقتل ولا يدعونه ان يجاورهم، وهبهم تركوه وسلموا الامره ولم ينهوه كيف قوى على خلطها وعرف قدرها ووزنها واخذ مثاقيلها وقرط قراريطها وهبه تتبع هذا كله واكثره سم قاتل ان

زيد على قدرها قتل وان نقص عن قدرها بطل ، وهبه تتبع هــذا كله وجال مشارق الارض ومغاربها فطال عمره فيها بتتبعه شجرة شجرة وبقعة بقعة كيف كان له تتبع مالم يدخل في ذلك من مرارة الطير والسباع ودواب البحر هل كان بد حيث زعمت ان ذلك الحكيم تتبع عقاقير الدنيا شجرة شجرة وثمرة ثمرة حتى جمعها كلها فمنها مالا يصلح ولايكون دواءاً الا بالمرار هل كان بد من ان يتبع جميع طير الدنيا وسباعها ودوابها دابة دابةوطائراً طائراً يقتلها ويجرب مرارتها كما بحث عن تلك العقاقير على مازعمت بالتجارب ولو كان ذلك فكيف بقيت الدواب وتناسلت وليست بمنزلة الشجرة اذا قطعت شجرة نبتت اخرى ، وهبه أتى على طير الدنيا كيف يصنع بما في البحر من الدواب التي كان ينبغي ان يتبعها بحراً بحراً ودابة دابة حتى احاط به كما احاط بجميع عقاقير الدنيا التي بحث عنها حتى عرفها وطلب ذلك في غمرات الماء فانك مهما جهلت شيئاً من هذا فانك لاتجهل ان دواب البحر كلها تحت الماء فهل يدل العقل والحواس على ان هذا يدرك بالبحث والتجارب ؟ قال لقدضيقت على المذاهب فما ادري ما اجيبك به قلت فانى آتيك بغير ذلك مما هو اوضح وابين مما اقتصصت عليك الست تعلم ان هذه العقاقير التي فيها الادوية والمرار من الطير والسباع لاتكون دواء الابعد الاجتماع ؟ قال هو كذلك . قلت فاخبرني كيف حواس هذا الحكيم وضع هذه الادوية مثاقيلها وقراريطها فانك من اعلم الناس بذلك لأن صناعتك الطب وانت

تدخل فى الدواء الواحد من اللون الواحد زنة اربعمائة مثقال ومن الاخر
مثاقيل وقرايط فما فوق ذلك ودونه حتى تجيء بقدر واحد معلوم اذا
سقيت منه صاحب البطنة بمقدار عقد بطنه وان سقيت صاحب القولنج
اكثر من ذلك استطلق بطنه والآن كيف أدركت حواسه على هذا
ام كيف عرفت بحواسه ان الذي يسقى لوجع الرأس لاينحدر الى
الرجلين والانحدار اهون اليه من الصعود والذي يسقي لوجع القـدمين
لايصعد الى الرأس وهو الى الرأس عند السلوك اقرب منه وكذلك كل
دواء يسقى صاحبه لكل عضو لاياخذ الا طريقه فى العروق التي تسقى له
وكل ذلك يصير الى المعدة ومنها يتفرق ام كيف لايسفل منه ماصعد
ولايصعد منه ما انحدر ؟ ام كيف ادركت الحواس هذا حتى علم ان الذي
ينبغي للاذن لاينفع العين ومايتنفع به للعين لايغني من وجع الأذن
وكذلك جميع الأعضاء يصير كل داء منها الى ذلك الدواء الذي ينبغي
له بعينه فكيف ادركت العقول والحكمة والحواس هذا وهو غائب فى
الجوف والعرق فى اللحم وفوقه الجلد لايدرك بسمع ولا ببصر ولا بشم
ولا بلمس ولا بذوق ؟ قال لقد جئت بما اعرفه الا اننا نقول أن الحكيم
الذي وضع هذه الادوية واختلاطها كان اذا سقى احداً شيئاً من هذه
الادوية فمات شق بطنه وتتبع عروقه ونظر مجاري تلك الادوية وأتى
المواضع التي تلك الادوية فيها . قلت فاخبرني الست تعلم ان الدواء كله
اذا وقع فى العروق اختلط بالدم فصار شيئاً واحداً ؟ قال بلى . قلت اما

تعلم ان الانسان اذا خرجت نفسه برد دمه وجمد ؟ قال بلى قلت فكيف عرف ذلك الحكيم دواءه الذى سقاه للمريض بعدما صار غليظاً عبيطاً ليس بامشاج يستدل عليه بلون فيه غير لون الدم ؟ قال لقد حملتني على مطية صعبة ماحملت على مثلها قط ولقد جئت باشياء لااقدر على ردها. قلت فاخبرني من اين علم العباد ماوصفت من هذه الادوية التي فيها المنافع لهم حتى خلطوها وتتبعوا عقاقيرها فى هذه البلدان المتفرقة وعرفوا مواضعها ومعادنها في الاماكن المتباينة ومايصلح من عروقها وزنتها من مثاقيلها وقراريطها ومايدخلها من الحجارة ومرار السباع وغير ذلك ؟ قال قد اعييت عن اجابتك لغموض مسائلك وألجائك اياى الى امر لايدرك علمه بالحواس ولا بالتشبيه والقياس ولابد ان يكون لوضع هذه الادوية واضع لأنها لم تصنع هى أنفسها ولا أجتمعت حتى جمعها غيرها بعد معرفته اياها قال فاخبرني كيف علم العباد هذه الادوية التي فيها المنافع حتى خلطوها وطلبوا عقاقيرها في هذه البلدان المتفرقة ؟ قلت انى ضارب لك مثلا وناصب لك دليلا تعرف به واضع هذه الادوية والدال على هذه العقاقير المختلفة وباني الجسد وواضع العروق التي ياخذ فيها الدواء الى الداء. قال فأن قلت ذلك لم اجد بدا من الانقياد الى ذلك. قلت فاخبرنى عن رجل انشأ حديقة عظيمة وبنى عليها حايطاً وثيقاً ثم غرس فيها الاشجار والأثمار والرياحين والبقول وتعاهد سقيها وتربيتها ووقاها مايضرها حتى لايخفى عليه موضع كل صنف منها فاذا ادركت اشجارها واينعت أثمارها

وأهنزت بقولها ذهبت اليه وسألته ان يطعمك لوناً من الثمار والبقول سميته له اتراه كان قادراً على ان ينطلق قاصداً مستمراً لا يرجع ولا يهوى الى شيء يمر به من الشجرة والبقول حتى يأتى الشجرة التي سألته ان يأتيك بثمرها والبقلة التي طلبتها حيث كانت من ادنى الحديقة او اقصاها فيأتيك بها ؟ قال نعم ، قلت افرأيت لو قال لك صاحب الحديقة حيث سألته الثمرة ادخل الحديقة فخذ حاجتك فانى لا اقدر على ذلك هل كنت تقدر ان تنطلق قاصداً لا تاخذ يميناً ولا شمالا حتى تنتهى الى شجرة فتجنى منها ؟ قال وكيف اقدر على ذلك ولا علم لي في اي مواضع الحديقة هى ؟ قلت افليس تعلم انك لم تكن لتصيبها دون ان تهجم عليها بتأسف وجولان في جميع الحديقة حتى تستدل عليها ببعض حواسك بعد ما تتصفح فيها من الشجر شجرة شجرة وثمرة ثمرة حتى تسقط على الشجرة التي تطلب ببعض حواسك ان تأتيها وان لم ترها أنصرفت ، قال وكيف اقدر على ذلك ولم اعاين مغرسها حيث غرست ولا منبتها حيث نبتت ولا ثمرتها حيث طلعت قلت فانه ينبغي لك أن يدلك عقلك حيث عجزت حواسك عن ادراك ذلك ان الذي غرس هذا البستان العظيم فيما بين المشرق والمغرب وغرس فيه هذه الاشجار والبقول هو الذي دل الحكيم الذي زعمت انه وضع الطب على هذه العقاقير ومواضعها فى المشرق والمغرب وكذلك ينبغي لك ان تستدل بعقلك على انه هو الذي سماها وسمي بلدتها وعرف مواضعها كمعرفة صاحب الحديقة الذي

سأله الثمرة وكذلك لايستقيم ولاينبغي ان يكون الغارس والدال عليها الا الدال على منافعها ومضارها وقراريطها ومثاقيلها . قال ان هذا لكما تقول . قلت افرأيت لو كان خالق الجسد ومافيه من العصب واللحم والامعاء والعروق التي تاخذ فيه الادوية الى الرأس والى القدمين والى ماسوى ذلك غير خالق الحديقة وغارس العقاقير ؟ هل كان يعرف زنتها ومثاقيلها وقراريطها ومايصلح لكل داء منها وما كان يأخذ فى كل عرق قال ذلك ويقدر عليه وهذا لايدرك بالحواس ومانبغي ان يعرف هذا الا الذي غرس الحديقة وعرف كل شجرة وبقلة ومافيها من المنافع والمضار قلت افليس كذلك ينبغي ان يكون الخالق واحداً لانه لو كان اثنين أحدهما خالق الدواء والاخر خالق الجسد والداء لم يهتد غارس العقاقير لأيصال دوائه الى الداء الذي بالجسد مما لا علم له به ولا أهتدى خالق الجسد الى علم مايصلح ذلك الداء من تلك العقاقير فلما كان خالق الداء والدواء واحد أمضى الدواء في العروق التي برأ وصور الى الداء الذي عرف ووضع فعلم مزاجها من حرها وبردها ولينها وشديدها ومايدخل فى كل دواء منه من القراريط والمثاقيل ومايصعد الى الرأس منها ومايهبط الى القدمين منها ومايتفرق منه فيماسوى ذلك قال لا اشك في هذا لانه لو كان خالق الجسد غير خالق العقاقير لم يهتد واحد منها الى ماوصفت . قلت فان الذي دل الحكيم الذي وصفت انه اول من خلط هذه الادوية ودل على عقاقيرها المتفرقة فيما بين المشرق والمغرب ووضع هذا الطب على

ماوصفت لك هو صاحب الحديقة فيما بين المشرق والمغرب وهو باني الجسد وهو دل الحكيم بوحى منه على صفة كل شجرة وبلدها ومايصلح منها من العروق والثمار والدهن والورق والخشب والالحاء وكذلك دله على اوزانها من مثاقيلها وقراريطها ومايصلح لكل داء منها وكذلك هو خالق السباع والطير والدواب التي في مرارها المنافع مما يدخل فى تلك الادوية فانه لو كان غير خالقها لم يدر ماينتفع به من مرارها ومايضرو ما يدخل منها في العقاقير فلما كان الخالق سبحانه واحداً دل على مافيه من المنافع منها فسماه بأسمه حتى عرف وترك مالا منفعة فيه منها فمن ثم علم الحكيم أي السباع والدواب والطير فيه المنافع وأيها لامنفعة فيه ولولا ان خالق هذه الاشياء دله عليها ما أهتدى بها قال ان هذا لكما تقول وقد بطلت الحواس والتجارب عند هذه الصفات قلت اما اذا صحت نفسك فتعال ننظر بعقولنا ونستدل بحواسنا أهل كان يستقيم لخالق هذه الحديقة وغارس هذه الاشجار وخالق هذه الدواب والطير والناس الذي خلق هذه الاشياء لمنافعهم ان يخلق هذا الخلق ويغرس هذا الغرس في ارض غيره مما اذا شاء منعه ذلك . قال ماينبغي ان تكون الارض التي خلقت فيها الحديقة العظيمة وغرست فيها الاشجار الا لخالق هذا الخلق وملك يده . قلت فقد ارى الارض ايضاً لصاحب الحديقة لاتصال هذه الاشياء بعضها ببعض قال مافى هذا شك قلت فاخبرني وناصح نفسك ألست تعلم ان هذه الحديقة وما فيها من الخلقة العظيمة من الانس والدواب

والطير والشجر والعقاقير والثمار وغيرها لا يصلحها الاشربها وريهامن الماء الذي لاحياة لشيء الابه ؟ قال بلى. قلت افترى الحديقة ومافيهامن الذرء خالقها واحد وخالق الماء غيره يحبسه عن هذه الحديقة اذا شاء ويفسده اذا شاء فيفسد على الخالق الحديقة ؟ قال ماينبغي ان يكون خالق هذه الحديقة وذارئ هذا الذرء الكثير وغارس هذه الأشجار الاالمدبر الاول وماينبغي ان يكون ذلك الماء لغيره وان اليقين عندي لهو الذي يجري هـذه المياه من ارضه وجباله لغارس هذه الحديقة ومافيها من الخليقة لانه لوكان الماء لغير صاحب هذه الحديقة لهلكت الحديقة وما فيها ولـكنه خالق الماء قبل الغرس والذرء وبه استقامت الاشياء وصلحت. قلت افرأيت لولم يكن لهذه المياه المتفجرة فى الحديقة مغيض لما يفضل من شربها يحبسه عن الحديقة ان يفيض عليها اليس كان يهلك ما فيها من الخلق على حسب ما كانوا يهلكون لولم يكن لهاماء ؟ قال بلى. ولـكني لاادري لعل هذا البحر ليس له حابس وانه شيء لم يزل. قلت اما انت فقد اعطيتني انه لولا البحر ومغيض المياه اليه لهلكت الحديقة. قال أجل. قلت فاني اخبرك عن ذلك بما تستيقن بان خالق البحر هو خالق الحديقة وما فيهامن الخليقة وانه جعله مغيضاً لمياه الحديقة مع ماجعل فيه من المنافع للناس. قال فاجعلني من ذلك على يقين كما جعلتني من غيره قلت ألست تعلم ان فضول ماء الدنيا يصير فى البحر ؟ قال بلى. قلت فهل رأيته زائداً قط في كثرة الماء وتتابع الامطار على الحد الذي لم يزل عليه اوهل رأيته ناقصاً فى قلة

المياه وشدة الحر وشدة القحط ؟ قال لا . قلت افليس ينبغي ان يدلك عقلك على ان خالقه وخالق الحديقة ومافيهامن الخليقةواحدوانه هوالذي وضع له حداً لايجاوزه لكثرة الماء ولالقلته وان مما يستدل على ما اقول انه يقبل بالامواج امثال الجبال يشرف على السهل والجبل فلو لم تقبض امواجه ولم تحبس فى المواضع التي امرت بالاحتباس فيها لاطبقت على الدنيا حتى اذا انتهت على تلك المواضع التي لم تزل تنتهى اليها ذلت امواجه وخضع اشرافه قال ان ذلك لكما وصفت ولقد عاينت منه كل الذي ذكرت ولقد اتيتني ببرهان ودلالات ما اقدر على انكارهاولا جحودها لبيانها .قلت وغير ذلك سآتيك به مماتعرف ايصال الخلق بعضه ببعض وان ذلك من مدبر حكيم عالم قدير الست تعلم ان عامة الحديقة ليس شربها من الانهار والعيون وان اعظم ما ينبت فيها من العقاقير والبقول التي فى الحديقة ومعاش مافيها من الدواب والوحش والطير من البرارى التي لاعيون لها ولاانهار انما يسقيه السحاب قال بلى . قلت افليس ينبغي ان يدلك عقلك وما ادركت بالحواس التي زعمت ان الاشياء لاتعرف الابها انه لو كان السحاب الذى يحتمل من المياه الى البلدان والمواضع التي لاينالها ماء العيون والانهار وفيها العقاقير والبقول والشجر والانام لغير صاحب الحديقة لأمسكه عن الحديقة اذا شاء ولكان خالق الحديقة من بقاء خليقته التي ذرأ وبرأ على غرور ووجل خائفاً على خليقته ان يحبس صاحب المطر الماء الذي لاحياة للخليقة الابه .قال ان الذي جئت به لواضح

متصل بعضه ببعض وما ينبغي ان يكون الذي خلق هذه الحديقة وهذه الارض وجعل فيها الخليقة وخلق لها هذا المغيض وانبت فيها هذه الثمار المختلفة الا خالق السماء والسحاب يرسل منها مايشاء من الماء اذا شاء ان يسق الحديقة ويحي مافي الحديقة من الخليقة والاشجار والدواب والبقول وغير ذلك الا اني احب ان تأتيني بحجة ازداد بها يقيناً واخرج بها من الشك . قلت فاني آتيك بها ان شاء الله من قبل اهليلجتك واتصالها بالحديقة وما فيها من الاشياء المتصلة باسباب السماء لتعلم ان ذلك بتدبير عليم حكيم . قال وكيف تأتني بما يذهب عني الشك من قبل الاهليلجة ؟ قلت فيما أريك فيها من اتقان الصنع واثر التركيب المؤلف واتصال ما بين عروقها الى فروعها واحتياج بعض ذلك الى بعض حتى يتصل بالسماء . قال ان اريتني ذلك لم اشك . قلت الست تعلم ان الاهليلجة نابتة في الارض وان عروقها مؤلفة الى اصل وان الاصل متعلق بساق متصل بالغصون والغصون متصلة بالفروع والفروع منضومة بالأكمام والورق وملبس ذلك كله الورق ويتصل جميعه بظل يقية حر الزمان وبرده؟ قال اما الأهليلجة فقد تبين لي اتصال لحائها وما بين عروقها وبين ورقها ومنبتها من الارض فأشهد ان خالقها واحد لا يشركه في خلقها غيره لاتقان الصنع واتصال الخلق وائتلاف التدبير واحكام التقدير . قلت ان اريتك التدبير مؤتلفاً بالحكمة والاتقان معتدلا بالصنعة محتاجاً بعضه الى بعض متصلا بالارض التي خرجت منه الاهليلجة في الحالات كلها اتقر بخالق ذلك ؟ قال اذاً لا اشك في

في الوحدانية . قلت فافهم وافقه ما اصف ، لك ألست تعلم ان الارض متصـلة باهليلجتك واهليلجتك متصلة بالتراب والتراب متصـل بالحر والبرد والحر والبرد متصل بالهواء والهواء متصل بالريح والريح متصل بالسحاب والسحاب متصل بالمطر والمطر متصل بالازمنة والازمنة متصلة بالشمس والقمر والشمس والقمر متصلتان بدوران الفلك والفلك متصل بما بين السماء والارض صنعة ظاهرة وحـكمة بالغه وتأليف متقن وتدبير محـكم متصل كل هذا مابين السماء والارض لايقوم بعضه الا ببعض ولايتأخر واحد منهما عن وقته ولو تاخر عن وقته لهلك جميـع من فى الارض من الأنام والنبات . قال ان هذه لهي العلامات البينات والدلالات الواضحات التي يجرى معها اثر التدبير باتقان الخلق والتأليف مع اتقان الصنع لـكني لست ادري لعل ما تركت غير متصل بما ذكرت؟ قلت وماتركت .قال الناس؟ قلت الست تعلم ان هذا كله متصل بالناس سخرهلها المدبر الذي اعلمتك انه ان تاخر شيء مما عددت عليك هلـكت الخليقة واباد جميع مافى الحديقة وذهبت الاهليلجة التي تزعم ان فيها منافع الناس ؟ قال فهل تقد أن تفسر لي هذا الباب على ما لخصت لي غيره ؟ قلت نعم ابين لك ذلك من قبل اهليلجتك حتى تشهد ان ذلك كله مسخر لبني آدم . قال وكيف ذلك ؟ قلت خلق الله السماء سقفاً مرفوعاً ولولا ذلك اغتم خلقه لقربها واحترقتهم الشمس لدنوها وخلق لهم شهباً ونجوماً يهتدي بها في ظلمات البر والبحر لمنافـع الناس ونجوماً يعرف بها أصل

الحساب فيها الدلالات على أبطال الحواس ووجود معلمها الذي علمها عباده مما لايدرك علمها بالعقول فضلاعن الحواس ولايقع عليها الاوهام ولايبلغها العقول الابه لانه العزيز الجبار الذي دبرها وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً يسبحان في فلك يدور بهما دائبين يطلعها تارة ويؤفلها اخرى فبني عليه الايام والشهور والسنين التي هي من سبب الشتاء والصيف والربيع والخريف ازمنة مختلفة الاعمال اصلها اختلاف الليل والنهار والذان لو كان واحدمنهما سرمداً على العباد لماقامت لهم معايش ابداً فجعل مدبر هذه الاشياء وخالقها النهار مبصراً والليل سكناواهبط فيهما الحر والبرد متباينين لودام واحد فيهما بغير صاحبه مانبتت شجرة ولاطلعت ثمرة ولهلكت الخليقة لان ذلك متصل بالريح المتصرفة في الجهات الأربع باردة تبرد أنفاسهم وحارة تلقح اجسادهم ويدفع الاذى عن ابدانهم ومعايشهم ورطوبة ترطب طبايعهم ويبوسة تنشف رطوباتهم وبها يتألف المفترق وبها يفترق الغمام المطبق حيث ينبسط في السماء كيف يشاء مدبره فيجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله بقدر معلوم لمعاش مفهوم وارزاق مقسومة وآجال مكتوبة ولو أحتبس عن ازمنته ووقته لهلكت الخليقة ويبست الحديقة فانزل الله المطر في ايامه ووقته الى الارض التي خلقها لبني آدم وجعلها فراشاً ومهاداً وحبسها أن تزول بهم وجعل الجبال لها اوتاداً وجعل فيها ينابيع تجري في الارض بماتنبت فيها لاتقوم الحديقة والخليقة الابها ولايصلحون الا عليها مع البحار التي يركبونها أويستخرجون منها حلية يلبسونها ولحماً

طرياً وغيره يأكلونه فعلم ان آله البر والبحر والسماء والارض ومابينهما
واحد حي قيوم مدبر حكيم وانه لوكان غيره لأختلفت الأشياء وكذلك
السماء نظير الأرض التي اخرج الذرء منها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً
ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابابتدبير مؤلف مبين بتصوير الزهرة والثمرة
حياة لبني آدم ومعاشاً تقوم به اجسادهم وتعيش بها انعامهم التي جعل الله
في اصوافها واوبارها واشعارها اثاثاً ومتاعا الى حين والانتفاع بها
والبلاغ على ظهورها معاشاً لهم لايحيون الابه وصلاحاً لايقومون الا
عليه وكذلك ماجهلت من الاشياء فلا تجهل ان جميع ما فى الارض
شيئان شيء ولد وشيء ينبت احدهما آكل والاخر مأكول ومما يدلك
عقلك انه خالقهم مانرى من خلق الانسان وتهيئة جسده لشهوة الطعام
والمعدة لتطحن المأكول ومجاري العروق لصفوة الطعام وهيأ لها الامعاء
فلو كان خالق المأكول غيره لماخلق الاجساد مشتهية للمأكول وليس
له قدرة عليه . قال لقد وصفت صفة اعلم انها من مدبر حكيم لطيف قدير
عليم قد آمنت وصدقت ان الخالق واحد سبحانه وبحمده غير اني اشك
في هذه السمائم القاتلة ان يكون هو الذى خلقها لانها ضارة غير نافعة .
قلت اليس قد صار عندك انها من غير خلق الله ؟ قال نعم لان الخلق
عبيده ولم يكن ليخلق مايضرهم . قلت سأبصرك من هذا شيئاً تعرفه
ولا انبئك الا من قبل اهليلجتك هذه وعلمك بالطب . قال هات . قلت
هل تعرف شيئاً من النبت ليس فيه مضرة للخلق ؟ قال نعم . قلت ماهو

قال هذه الاطعمة. قلت اليس هذا الطعام الذي وصفت يغير الوانهم ويهيج اوجاعهم حتى يكون منها الجذام والبرص والسلال والماء الاصفر وغير ذلك من الاوجاع ؟ قال هو كذلك. قلت أما هذا الباب فقد أنكسر عليك قال اجل. قلت هل تعلم شيئاً من النبت ليس فيه منفعة ؟ قال نعم قلت اليس يدخل فى الادوية التي يدفع بها الاوجاع من الجذام والبرص والسلال وغير ذلك ويدفع الداء ويذهب السقم مما انت اعلم به لطول معالجتك ؟ قال انه كذلك. قلت فاخبرنى أى الادوية عندكم اعظم في السمائم القاتلة اليس الترياق ؟ قال نعم هو رأسها واول مايفزع اليه عند نهش الحيات ولسع الهوام وشرب السمائم. قلت اليس تعلم انه لابد للادوية المرتفعة والادوية المحترقة في اخلاط الترياق الا ان تطبخ بالافاعي القاتلة ؟ قال نعم هو كذلك ولايكون الترياق المنتفع به الدافع للسمائم القاتلة الابذلك، وقد أنكسر علي هذا الباب فأنا اشهد ان لااله الاالله وحده لاشريك له وانه خالق السمائم القاتلة والهوام العادية وجميع النبت والاشجار وغارسها ومنبتها وبارئ الأجساد وسائق الرياح ومسخر السحاب وأنه خالق الادواء التي تهيج بالانسان كالسمائم القاتلة التي تجرى فى اعضائه وعظامه ومستقر الادواء وما يصلحها من الدواء العارف بالروح ومجرى الدم واقسامه في العروق واتصاله بالعصب والاعضاء والعصب والجسد وانه عارف بما يصلحه من الحر والبرد عالم بكل عضو بما فيه وانه هو الذي وضع هذه النجوم وحسابها والعالم بها والدال على نحوسها وسعودها

ومايكون من المواليد وان التدبير واحد لم يختلف متصل فيما بين السماء والارض ومافيها ، فبين لي كيف هو الاول والآخر وهو اللطيف الخبير واشباه ذلك . قلت هو الاول بلا كيف وهو الآخر بلا نهاية ليس له مثل خلق الخلق والاشياء لامن شئ ولا كيف بلا علاج ولا معاناة ولافكر ولا كيف كما انه لا كيف له وانما الكيف بكيفية المخلوق لانه الاول لابدء له ولاشبه ولامثل ولاضد ولاند لايدرك ببصر ولايحس بلمس ولايعرف الابخلقه تبارك وتعالى . قال فصف لي قوته قلت انما سمي ربنا جل جلاله قوياً للخلق العظيم القوى الذي خلق مثل الارض وما عليها من جبالها وبحارها ورمالها واشجارها وماعليها من الخلق المتحرك من الأنس ومن الحيوان وتصريف الرياح والسحاب المسخر المثقل بالماء الكثير والشمس والقمر وعظمها وعظم نورها الذي لاندركه الابصار بلوغاً ولامنتهى والنجوم الجارية ودوران الفلك وغلظ السماء وعظم الخلق العظيم والسماء المسقفة فوقنا راكدة فى الهواء ومادونها من الارض المبسوطة وما عليها من الخلق الثقيل وهى راكدة لاتتحرك غير انه ربما حرك فيها ناحية والناحية الاخرى ثابتة وربما خسف منها ناحية والناحية الاخرى قائمة يرينا قدرته ويدلنا بفعله على معرفته فلهذا سمي قوياً لالقوة البطش المعروفة من الخلق ولوكانت قوته تشبه قوة الخلق لوقع عليه التشبيه وكان محتملا للزيادة وما احتمل الزيادة كان ناقصاً وما كان ناقصاً لم يكن تاماً وما لم يكن تاماً كان عاجزاً ضعيفاً والله تعالى لايشبه

بشيء وانما قلنا انه قوى للخلق القوى وكذلك قولنا العظيم والكبير ولا يشبه بهذه الاسماء ، الله تبارك وتعالى . قال افرأيت قوله سميع بصير عالم؟ قلت انما يسمى تبارك وتعالى بهذه الاسماء لانه لايخفى عليه شيء مماتدركه الابصار من شخص صغير او كبير اودقيق اوجليل لانصفه بصيراً بلحظ عين كالمخلوق وانما سمي سميعاً لانه مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولاخمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الاهو معهم اينما كانوا يسمع النجوى ودبيب النمل على الصفا وخفقان الطير في الهواء لايخفى عليه خافية ولاشيء مما ادركته الاسماع والابصار ومالا تدركه الاسماع والأبصارماجل من ذلك ومادق وماصغر وماكبر ولم نقل سميعاً بصيراً كالسمع المعقول من الخلق وكذلك انماسمي عليماً لانه لايجهل شيئاً من الاشياء لايخفى عليه خافية في الارض ولافى السماء علم ماكان ومايكون ومالايكون وما لوكان كيف يكون ولم نصف عليمابمعنى غريزة يعلم بها كما ان للخلق غريزة يعلمون بها فهذا ما اراد من قوله عليم فعز من جل عن الصفات ومن نزه نفسه عن افعال خلقه فهذا هو المعنى ولولا ذلك لمافصل بينه وبين خلقه فسبحانه وتقدست اسماؤه قال ان هذا لكما تقول ولقد علمت انما غرضي ان اسأل عن رد الجواب فيه عند مصرف يسنح عني فاخبرني لعلى احكمه فيكون الحجة قد انشرحت للمتعنت المخالف او السائل المرتاب اوالطالب المرتاد مع مافيه لاهل الموافقة من الازدياد فاخبرني عن قوله لطيف وقد عرفت انه للفعل

ولكن قد رجوت ان تشرح لي ذلك بوصفك قلت انما سميناه لطيفاً للخلق اللطيف ولعلمه بالشيء اللطيف مما خلق من البعوض والذرة ومن ماهو اصغر منها لا يكاد تدركه الابصار والعقول لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته لا يعرف من ذلك لصغره الذكر من الانثى ولا الحديث المولود من القديم الوالد فلما رأينا لطف ذلك في صغره وموضع العقل فيه والشهوة للسفاد والهرب من الموت والحدب على نسله من ولده ومعرفة بعضها بعضاً وما كان منها في لجج البحار وأعنان السماء والمفاوز والقفار وما هو معنا في منازلنا ويفهم بعضهم بعضاً من منطقهم وما يفهم من اولادها ونقلها الطعام اليها والماء علمنا ان خالقها لطيف وأنه لطيف بخلق اللطيف كما سميناه قوياً بخلق القوى . قال ان الذي جئت به لواضح فكيف جاز للخلق ان يتسمون باسماء الله ؟ قلت ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه اباح للناس الاسماء ووهبها لهم وقد قال القائل من الناس للواحد واحد ويقول لله واحد ويقول قوى والله تعالى قوي ، ويقول صانع والله صانع ويقول رازق والله رازق ، ويقول سميع بصير والله سميع بصير وما اشبه ذلك فمن قال للانسان واحد فهذا له أسم وله شبيه والله واحد وهو له أسم ولاشيء له شبيه وليس المعنى واحداً . واما الاسماء فهي دلالتنا على المسمى لانا قد نرى الانسان واحداً وانما نخبر واحداً اذا كان مفرداً فعلم ان الانسان في نفسه ليس بواحد في المعنى لأن اعضاءه مختلفة واجزاءه ليست سواء ولحمه غير دمه ، وعظمه غير عصبه ، وشعره غير ظفره ،

وسواده غير بياضه ، وكذا سائر الخلق.والانسان واحد في الاسم وليس بواحد في الأسم والمعنى والخلق فاذاقيل لله فهو الواحد الذي لا واحد غيره لانه لا أختلاف فيه وهو تبارك وتعالى سميع وبصير وقوي وعزيز وحكيم وعليم فتعالى الله أحسن الخالقين. قال فاخبرني عن قوله رؤوف رحيم وعن رضاه ومحبته وغضبه وسخطه. قلت ان الرحمة ومايحدث لنا منها شفقة ومنها جود وان رحمة الله ثوابه لخلقه ، والرحمة من العباد شيئان احدهما يحدث في القلب الرأفة والرقة لما يرى بالمرحوم من الضر والحاجة وضروب البلاء والآخر مايحدث من بعد الرأفة واللطف على المرحوم منا مانزل به وقد يقول القائل أنظر الى رحمة فلان وانما يريد الفعل الذي حدث عن الرأفة التي في قلب فلان ، وانما يضاف الى الله تعالى من فعل ماحدث عنا من هذه الاشياء ، واما المعنى الذي هو في القلب فهو منفى عن الله كما وصف عن نفسه فهو رحيم لا رحمة رقة ، واما الغضب فهو منا اذا غضبنا تغيرت طبايعنا وترتعد احيانا مفاصلنا وحالت الوانناثم نجئ من بعد ذلك بالعقوبات فسمى غضباً فهذا كلام الناس المعروف والغضب شيئان أحدهما في القلب واما المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله جل جلاله ، وكذلك رضاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة جل وعز لاشبيه له ولا مثل في شئ من الاشياء . قال فاخبرني عن ارادته . قلت ان الارادة من العباد الضمير ومايبدو بعد ذلك من الفعل واما من الله عز وجل فالأرادة للفعل احداثه انما يقول له كن فيكون بلا تعب ولا كيف . قال قد بلغت

حسبك فهذه كافية لمن عقل والحمد لله الذي هدانا من الضلال وعصمنا من ان نشبه بشيء من خلقه وان نشك فى عظمته وقدرته ولطيف صنعه وجبروته جل عن الأشباه والاضداد وتكبر عن الشركاء والانداد.
أنتهى كتاب الاهليلجة والحمد لله وفيه الكفاية لمن اراد الهداية والشكر لله والصلاة على رسوله وآله ابواب الهداية.



تحت الطبع

خصائص أمير المؤمنين عليه السلام

للنسائي

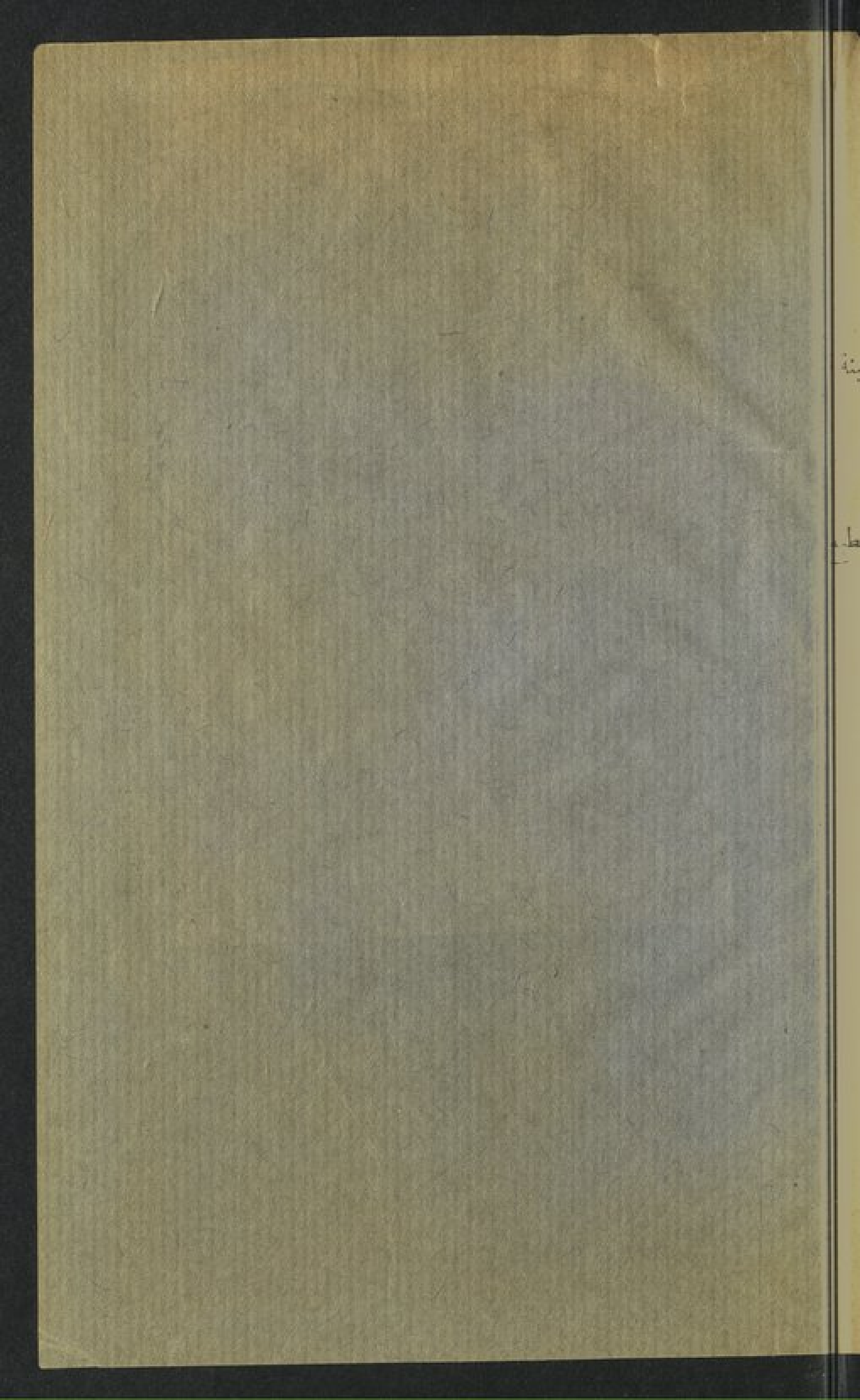
للامام الحافظ الحجة أبى عبد الرحمان أحمد بن شعيب

النسائى المتوفي سنة ٣٠٣

منشورات المطبعة الحيدرية في النجف

فلس	
٢٠٠	تفسير فرات الكوفي
١٥٠	أمالي الشيخ المفيد
١٥٠	الجمل « « «
١٠٠	الافصاح « «
٢٠٠	العيون والمحاسن «
١٥٠	المسترشد للطبري
٢٠٠	بشارة المصطفى للطبري
٢٠٠	بشارة الاسلام للحيدري
١٢٠	الملاحم والفتن لابن طاووس
١٥٠	فرج المهموم « « «
١٥٠	مقتل الحسين للمقرم
١٠٠	علي الأكبر « «
٥٠	السيده سكينة « «
٦٠	خصائص الأمير ع للرضي
٦٠	الطرف لابن طاووس
١٠٠	فرحة الغري « «
١٠٠	توحيد المفضل والاهليلجة
١٠٠	أصل الشيعة وأصولها

فلس	
٢٠٠	العباس للمقرم
٦٠	الارض والتربة الحسينة
٢٥٠	الاحتجاج للطبرسي
٥٠	مقتل ابي مخنف
٢٠٠	دلائل الامامة تحت الطبع
٢٠٠	الفهرست للطوسي
٦٠	خضرية
٦٠	فلك النجاة
٦٠	جمر المصاب
٣٠	مولود النبي (ص)
٢٠	معراج النبي (ص)
٢٠	النصاريات
٢٠	ابوذيه الحسينة
٢٠	اخذ الثار
٢٠	الفائزية
٢٠	العلوية
١٥٠	فرق الشيعة للنوبختي
١٠٠	ادب الجديد للهاشمي




AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT